رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نماذج من
التفسير البياني
عند قدماء النحاة واللغويين

تأليف
أ. د. خليل ابراهيم حمودي السامرائي

دار الماجد
دار العصماء

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نماذج من
التفسير البياني
عند قدماء النحاة واللغويين

تأليف
أ. د. خليل ابراهيم حمودي السامرائي

دار العصماء
دار الماجد

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1436 هـ 2016 م

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكل طرق
الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل الحاسوبي.. وغيرها
إلا بإذن خطي من دار العصماء

فرع أول: سورية - دمشق - برامكة - جانب دار الفكر
قبل دار التوليد - دخلة الحلبوني
هاتف: 2224279 -11-00963 - تلفاكس: 2257554 -11-00963
فرع ثاني: دمشق - ركن الدين - السوق التجاري
جانب مجمع الشيخ أحمد كفتارو
هاتف: 2770433 -11-00963 تلفاكس: 2752882 -11-00963
ص.ب: 36267 - موبايل: 944/349434 -00963
E-mail:daralasma@gmail.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى ورحمة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد، فقد كان لنا في صفحات هذا الكتيب -الذي بين يديك- مع قدماء النحاة واللغوين وقفة، مارسنا فيها استجلاء الرَّوعة في توجيههم لآي الذكر الحكيم توجيهاً بيانياً.

وفي اصطحاب القدامى، إذا كانوا كسيبويه، والفرّاء، وأبي عبيدة، والأخفش الأوسط ما يستهوي الباحث إلى المُتعة ويدفعه إلى المُضيّ قِدَماً ليظفرَ بما يريده من جواهر ثمينة من أبحارهم الزاخرة.

وفي هذا المفهوم كانت لنا هذه الجولة -إن شئت- الخاطفة مع كتاب سيبويه ومعاني القرآن للفرّاء ومجاز أبي عبيدة، ومعاني القرآن للأخفش التي هي من أقدم آثار النحاة واللغويين التي وصلت إلينا.

ومما لا ريب فيه أن القرآن الكريم مأدبة الله سبحانه وتعالى التي تُنْمِي العقول، وتُغَذّي النفوس علماً وحكمةً وخُلُقا، وتزيدها يقيناً وإيماناً.

وكلّما قُرِئ القرآن بتدبّرٍ تبرز أمام قارئه صورٌ عظيمةٌ تدفعه لمعرفة كنه هذه العظمة التي جسدت ملامحها بدقة ألفاظٌ مألوفة.

وبسبب من هذا حرص العلماء القدامى، ولاسيما النحاة واللغوين على دراسة القرآن بتدبر منقطع النظير للوصول إلى بيان سرّ إعجازه الذي أودعه الله سبحانه وتعالى في كلمات كتابه العزيز، تلك الكلمات التي كان يتكلم بها الناس ويألفونها، ولكنهم عجزوا عن مجاراتها وهي في نظم القرآن الكريم.

فمنهم من أفرد مؤلّفاً خاصاً ببيان الإعجاز، ومنهم من حرص على بيان شيء من كنهه من خلال ما يقوم به من دراسةٍ تخصص بها، كما فعل سيبويه وغيره، فحرصوا على كشف روائع البيان في القرآن وعجيب نظمه.

ولقد اقتصر عملي هذا على استقراء كتب هؤلاء العلماء الأفذاذ الأربعة، واختيار نماذج من تفسيرهم البياني لآيات الذكر الحكيم، لأدلل على وجود هذا اللون من التفسير وأسبقيته. وإني لم أتدخل بمناقشة أقوالهم أو ذكر أقوال الآخرين إلاّ اللمم، لأنني حرصت على عرض أقوالهم فحسب.

وبعد، فَحَسْبي أنّي أرضيتُ ربي سبحانه وتعالى وضميري بهذا العمل وأرجو من الله عزَّ وجَّل أن يتقبله خالصاً لوجهه، وأن أكون قد وفّقت لخدمة كتابه العزيز.

وفي الختام أوجه شكري إلى وَلَدَي أخَوَيَّ زيد وعمر لما بذلاه من جهدٍ في طباعة هذا الكتاب وإخراجه حفظهما الله ورعاهما.

إنه نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير.

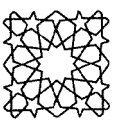

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التفسير البياني

❑ تعريفه:

ليس بخافٍ أنّ مصطلح التفسير البياني يتكون من جزئين، الموصوف وصفته، نرى من الأهمية تعريفهما لغة واصطلاحا، ثمّ تعريف المصطلح الذي رُكّب منهما

التفسير لغة: من تتبعنا لمادة (فَسَرَ) وتصاريفها في كتب اللغة وجدنا أنّها تدلُّ على البيان، والإيضاح، وكَشْفِ المراد، وإظهار المعنى، والتَّعرية للانطلاق[1].

فالْفَسْرُ معناه: البيان، وقد فسَّرت الشيءَ أفسِّرُه بالكسر فَسْراً والتَّفسير مثلُه.

وجاء في مقاييس اللغة: ((الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شيءٍ وإيضاحه، من ذلك الفَسْرُ، يُقال: فَسَرت الشيءَ، وفسَّرته))[2].

ومن معاني الْفَسْرِ: الإبانة، وكشفُ المغطّى، أو إظهار المعنى المعقول[3].

قال أبو حيان: ((ويطلق التفسير أيضا على التَّعرية للانطلاق. قال ثعلب: تقول: فَسَرتُ الفرسَ عرَّيته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنّه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري))[4].

---

(١) ينظر: مادة (فسر) في الصحاح- للجوهري ٧٨١/٢، ولسان العرب- لابن منظور ١٢٩/٥.

(٢) مقايس اللغة- لابن فارس (فسر) ٥٠٤/٤.

(٣) ينظر: المفردات- للراغب الأصبهاني ص ٣٩٥، القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة (فسر) ص٩٩٥.

(٤) البحر المحيط- لأبي حيان ١٢١/١.

والتفسير في المبالغة كالْفَسْر، وقد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها[1]. وقالوا: إنّ التفسير هو كشف المراد عن اللفظ المشكل. والتفسرة: كلُّ شيءٍ يُعرف به تفسير الشيء ومعناه[2].

التفسير اصطلاحاً: ذُكِرت عدة أقوال في تعريف التفسير، بعضُها موجز، وبعضُها الآخر مفصَّل، بيد أنّها تكاد تكون قريبة في بيان المعنى والهدف، وإن اختلفت ألفاظها[3]. وسأكتفي بذكر تعريفَيْنِ منها، لكونهما أكثرَ قربا في بيان المعنى.

➢**الأول**: ما ذكره صاحب كتاب البرهان، بأنّه: ((علمٌ يُعرف به فَهْمُ كتاب الله المنزل على نبيّه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه))[4].

➢**والآخر**: ما ذكره أبو حيان الأندلسي بقوله: ((علمٌ يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك))[5].

وراح أبو حيان يخرج التعريف، فقال: ((فقولنا: علم، هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، هذا هو علم

---

(١) المفردات ص ٣٩٥.

(٢) ينظر: مادة (فسر) لسان العرب ١٢٩/٥.

(٣) ينظر: الإتقان- للسيوطي ٣٨١/٢ وما بعدها، التفسير والمفسرون- للذهبي ١٤/١ وما بعدها.

(٤) البرهان في علوم القرآن- للزركشي ٣٣/١.

(٥) البحر المحيط ١٢١/١.

القراءات، وقولنا: ومدلولاتها، أي: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب، وعلم البيان وعلم البديع، وقولنا: ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، يشمل بقوله: التي تحمل عليها: ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإنّ التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً ويَصدّ عن الحمل على الظاهر صادٌّ فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز، وقولنا: وتتمات لذلك: هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك))[1].

وهذان التعريفان ينبئان أنّ هدف علم التفسير هو فهم كتاب الله تعالى المنزل على النبيّ محمد ﷺ، ويشتملان على ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد من أحكامه وحكمه. والله أعلم.

❑ البياني:

بانَ الشيءُ بيانا، وأبانَ، إذا اتّضح وانكشف[2]، أو تبيّن وظهر[3]. وفلان أبينُ من فلان، أي: أفصح منه، وأوضح كلاما[4].

والبيان: ما يتبيّنُ به الشيء من الدلالة وغيرها[5].

---

(١) البحر المحيط ١/١٢١.

(٢) ينظر: مادة (بين): مقاييس اللغة ١/٣٢٨، القاموس المحيط ١٤٦.

(٣) ينظر: الصحاح مادة (بين) ٢/٢٠٨٣، الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٢٣٠.

(٤) ينظر: مادة (بين): الصحاح ٢/٢٠٨٣، مقاييس اللغة ١/٣٢٨، لسان العرب ١/٢٨٤.

(٥) المصادر أنفسها.

والبيان: هو الكشف عن الشيء، وسُمّي الكلام بياناً، لكشفه عن المعنى المقصود، وإظهاره[1].

والبيان: الإفصاح مع ذكاءٍ[2].

والبيان: الفصاحة، واللَّسَنُ.

والبيان: هو التعبير عمّا في الضمير، وإفهام للغير.

والبيان: الفصاحة، أو الملكة، أو أصول يعرف بها إيراد المعنى الواحد في صور مختلفة[3].

أمّا بيان التفسير، فهو بيان ما فيه خفاء من المشترك، أو المشكل، أو المجمل، أو الخفي[4].

وقيل: البيان ما يتعلق باللفظ، والتبيان ما يتعلق في المعنى[5].

ونخلص من هذه الأقوال أنَّ أهم ما تنطوي عليه هذه اللفظة هو وضوح الشيء، أو الكلام، وانكشاف المعنى وظهوره، والفصاحة في الكلام، واللَّسَن، والإفصاح مع الذكاء، وإفهام الآخرين.

❑ التفسير البياني اصطلاحاً:

ليس سهلاً أن نعرّف التفسير البياني بتعريف واحد جامع مانع لا يتغير، مادام الدرس والبحث في رحاب القرآن الكريم قائمين.

---

(١) ينظر: المفردات ص ٧٤.

(٢) ينظر: مادة (بين): لسان العرب ١/٢٨٥، القاموس المحيط ص ١٤٦.

(٣) ينظر: المصدران أنفسهما، الكليات ص ٢٣٠.

(٤) الكليات ص ٢٣٠.

(٥) الكليات ص ٢٣٠.

وعلى الرغم من أنه لم يصل إلينا -في حدود علمنا- شيءٌ ممّا قاله الأولون عن ماهية التفسير البياني وأهدافه. ولكن نستطيع أن نتلمس ذلك ممّا عرضوه وهم يبينون وجه إعجازه، أو تفسيره، ويقفون على لفتاته ووجوهه البلاغية.

ويمكن لنا في ضوء ذلك، وفي ضوء ما ذكرنا من المعنى اللغوي لمادتي (التفسير) و(البيان)، وفي هدي ما ذكره أستاذنا الدكتور فاضل السامرائي - حفظه الله- من تعريفه للتفسير البياني وبيان أهميته إذ قال:

((وأمّا التفسير البياني فهو التفسير الذي يبيّن أسرار التركيب في التعبير القرآني))[1].

ثمَّ وضّح علاقة هذا التفسير بالتفسير العام، وذكر الأمور التي يهتمُّ، ويعنى بها، فقال: ((فهو جزء من التفسير العام، تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية، كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك ممّا يتعلق بأحوال التعبير))[2].

أقول: يمكن لنا أن نقول: التفسير البياني: هو التفسير الذي يُعْنى بدراسة النظم القرآني، ويهدف إلى بيان أسرار صور التركيب المتولّدة من العدول النَّحوي، أو الصَّرفي، أو الدلالي، أو البلاغي، أو الصوتي، وغير ذلك، وإظهار القصد من ذلك العدول، ومناسبته للسياق الخاص به.

فالعدول يؤدي إلى توالد الدّلالات، واختلاف المعاني في سياقات النظم القرآني من التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتعريف والتنكير، وإيثار صيغة على صيغة، والتوكيد، أو من التغيير في الإعراب غير التغيير في اللغة

---

(١) على طريق التفسير البياني- د. فاضل السامرائي ٦/١.

(٢) المصدر نفسه.

الذي لا يصحبه عدول في المعنى، كإعمال (ما) النافية عند الحجازيين، وعدم إعمالها عند التميميين، وغير ذلك من العدول، ((إذ كلّ عدول من تعبير إلى تعبير، لا بدَّ أن يصحبه عدول من معنى إلى معنى. فالأوجه التعبيرية المتعددة إنّما هي صور لأوجه معنوية متعددة))[1].

❑ صلة التفسير البياني بالتفسير العام، والتحليلي، والموضوعي

ليس ثمّة شكٌّ في أنّ العلاقة بين أنواع التفاسير علاقة متينة، شديدة الترابط، لا تَنْفَصِمُ عُراها، إذ لا يُمكن الفصل بين أحد منها، لأنَّ التفاسير كلَّها تهدف إلى غاية واحدة، وهي البحث عن أحوال القرآن من حيث دلالته على مراد الله سبحانه وتعالى بقدر الطاقة البشرية[2]. فلا خلاف بينها من حيث الهدف والغاية، ولكنّ الخلاف يكمن في الوصول إلى الغاية، لأنَّ لكلِّ مفسر منهجه وأسلوبه ((وحتى هذا الاختلاف في المنهج ليس اختلاف تباين وانفصال وتضاد؛ بل اختلاف تنوع، وتعاضد، وترادف))[3].

فالتفسير البياني هو جزء من التفسير العام، كما سبق ذكره، لأنّ التفسير العام يهتم بأمور كثيرة على وجه السواء، كالنحو، والصرف، والبلاغة، والقراءات، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وبيان الأحكام الشرعية، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، والقصص القرآني، وغير ذلك ممّا يتعلق بالتفسير.

أمّا التفسير البياني فينصب اهتمامه -كما ذكرنا- على دراسة النظم القرآني، وبيان أسرار التركيب القرآني وإبراز المعنى الذي يتولد من صور

---

(١) معاني النحو- د. فاضل السامرائي ٩/١.

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون ١٥/١.

(٣) مباحث في التفسير الموضوعي د. مصطفى مسلم ص ٥٢.

التركيب، كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، وغير ذلك ممّا ذكرناه آنفا، وذلك لإظهار مواضع الدقّة في التعبير القرآني.

وهذا لا يعني أنّ المفسّر البياني ليس به حاجة إلى العلوم والمعارف التي يحتاجها المتصدِّي للتفسير العام من العلوم التي ذكرناها قبل قليل؛ بل يجب أن يكون على علم ودراية تامّة بها، إلاّ أنّه به حاجة أكثر إلى التبحر في علوم اللغة العربية، فيجب أن يكون على سَعة علم في اللغة، والنحو، والصرف، وفي علوم البلاغة، فضلا عن معرفته الواسعة في علم القراءات القرآنية وتوجيهها، وأسباب النزول التي تعينه على فهم المعنى، وأن يكون له نظر ثاقب، وفهم قويّ للنظر في السياق، لأنّه بالسياق تتضح كثير من الأمور، ويتبين سبب العدول من تعبير إلى تعبير، أو سبب اختيار لفظة على لفظة أخرى، وتعبير على آخر، وأن يكون على علم في المواطن التي وردت فيها اللفظة التي يُراد تفسيرها، أو التعبير الذي يراد تبينه ليستخلص المعنى المقصود. وأن يعلم أنّ هناك خصوصية في الاستعمال القرآني، كاستعمال (الريح) للشرِّ، و(الرياح) للخير، و(الغيث) للخير و(المطر) للشر، وغير ذلك. وأن ينظر في الوقف والابتداء ويبين أثر ذلك في الدلالة، وأن يعرف أسباب التبدل الصوتي للفظة، كالتشديد، وعدم التشديد، نحو: (يَطْهرن) و(يَطَّهرن)، والإبدال، نحو: (يَطَّهر) و(يتطَهر)، والحذف والذكر، نحو (اسطاعوا) و(استطاعوا)، وغير ذلك.

ويجب أن يكون قد اطّلع على تفاسير أشهر المفسرين، وقرأ في كتب علوم القرآن، وكتب الإعجاز والتناسب، وغير ذلك. وأساس كلّ ذلك أن تكون له موهبة تمكنه من فهم الذي ينظر إليه من النص القرآني، واستنباط

الأسرار البيانية منه[1].

❑ التفسير التحليلي:

وهذا النوع من التفسير: ((هو الذي يتتّبع فيه المفسّر الآيات حسب ترتيب المصحف، سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أم سورة كاملة، أو القرآن الكريم كلّه، ويبين ما يتعلق بكلٍّ آية من معاني ألفاظها، ووجوه البلاغة فيها، وأسباب نزولها، وأحكامها، ومعناها، ونحو ذلك))[2].

أي: أنّ التفسير التحليلي تنصب عنايته على دلالة اللفظة اللغوية، والشرعية، وبيان علاقة الكلمة مع الكلمات الأخرى في الجملة، وعلاقة الجملة مع غيرها من الجمل في الآية أو السورة، فضلاً عن معرفة القراءات القرآنية وتوجيهها، وبيان أثر ذلك على دلالة الآية، ومعرفة الوجوه الإعرابية ودورها في تأدية المعاني، وبيان الأساليب البلاغية وأثرها في إضفاء الجمال البياني على الآية، ثمَّ الصرفية والدلالية، وذكر دور كل ذلك في بيان إعجاز القرآن الكريم، وغير ذلك من الوجوه التي تهدف إلى بيان المقصود من الآية، أو الآيات، فضلا عن الإحاطة التامة بأقوال من سبقه من المفسرين.

أمّا التفسير الموضوعي فهو: ((علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى، أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع))[3].

---

(١) ينظر: على طريق التفسير البياني ص ٦-١٣.

(٢) محاضرات في التفسير الموضوعي د. عباس عوض الله عباس ص ١١.

(٣) المدخل إلى التفسير الموضوعي- د. عبد الستار سعيد ص ٢٠، ومباحث في التفسير الموضوعي د. مصطفى مسلم ص١.

أو: ((هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر))[1].

فالتفسير الموضوعي يَصُبُّ اهتمامه على تحديد موضوع معين من خلال آيات القرآن الكريم، أو في سورة من سوره، فيهدف إلى استنباط عناصر ذلك الموضوع بعد جمعه للآيات التي تحدثت عنه، ليصل إلى مراد الله سبحانه وتعالى.

أو يكون مِن تتبّع لفظة في آيات القرآن الكريم، فيسعى بعد جمع الآيات التي وردت فيها، وذكر مشتقاتها من مادتها اللغوية إلى تفسيرها، واستنباط دلالتها من خلال تلك الآيات التي ذَكَرَتْها.

ولا يتبادر إلى الذهن أنَّ هذا النوع من التفسير -كما يظن مَن لا بصيرة له- لا يهتمُّ بعلوم اللغة العربية، أو بغيره من العلوم؛ بل يجب على المفسر أن يعرف مدلولات الألفاظ، ووجوه الإعراب، والقراءات القرآنية، ووجوه اختلافها، وتوجيهها، فضلا عن الاشتقاق وعلم التصريف، وعلوم البلاغة، لأنّ ذلك كلّه يساعده على فهم النصِّ القرآني. فالقاسم المشترك إذاً في كلِّ أنواع التفاسير هو سَعَةُ العلم في علوم اللغة العربية؛ فيجب على كلّ من يتصدّى للتفسير أن يكون قد خاض لجَّة علوم اللغة العربية، وسبر أغوارها؛ فعرف كثرة ألفاظها، ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وعَلِمَ لسان العرب، وافتتانهم في مذاهب أقوالهم، فضلا عن أنَّ العلم في اللغة يعصم صاحبها من الانزلاق في مهاوي الضلال. قال الزهري رحمه الله: ((إنّما أخطأ الناس في تأويل القرآن لجهلهم بلغة القرآن))[2].

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي ص ١٦.

(٢) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية لأبي حاتم الرازي ص ١٢٣.

وقال أبو عبيد: ((سمعت الأصمعي يقول: سمعت الخليل بن احمد يقول: سمعت أبا أيوب السختياني يقول: عامّة من تزندق بالعراق لقلّة علمهم بالعربية))[1].

وقال ابن جنّي: ((أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها فإنّما استهواه، واستخفَّ حلمَه ضَعْفُه في هذه اللغة الكريمة الشريفة))[2] لذلك تجد العلماء كثيراً ما يؤكدون على أنّ المفسّر يلزم أن يكون على سَعة من فهم علوم اللغة العربية من الوصول إلى فهم مراد الله، والوقوف على بلاغة القرآن وبديعه، واستنباط الأحكام بمقتضى ما تقرره علوم اللغة من قواعد نحويّة وصرفية، واشتقاقية، وبلاغية؛ لأن القرآن نزل باللغة العربية، ولا يتمكن أحد من فَهْمِ المراد منه ما لم يكن قد أحاط بعلومها، وأساليبها، علماً ودرايةً.

جاء في البرهان للزركشي: ((وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسيرُ شيءٍ من الكتاب العزيز، ولا يكفي في حقه تعلُّمُ اليسير منها. فقد يكون اللفظ مشتركا، وهو يعلم أحد المعنيين))[3].

وقال الزمخشري رحمه الله: ((من حقِّ مفسِّر كتاب الله الباهر، وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليماً عن القادح))[4].

---

(١) الزينة ص ١٢٤.

(٢) الخصائص ٣/٢٤٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢/١٦٥، وينظر: الإتقان ٢/٣٩٧.

(٤) الإتقان ٢/٣٩٨.

وقال ابن تيميّة رحمه الله: ((لابدَّ في تفسير القرآن ،والحديث من أن يعرف ما يدلُّ على مراد الله، ورسوله من الألفاظ، وكيف يُفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خُوطبنا بها ممّا يعين على تفقه مراد الله، ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإنّ عامّة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنّهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدّعون أنّه دالٌّ عليه، ولا يكون الأمر كذلك))[1].

وذكر السيوطي رحمه الله تعالى أنَّ المفسِّر به حاجة كبيرة إلى التبحُّر في معرفة لسان العرب[2] وأختم هذه الأقوال بقول ابن القيّم الجوزيّة رحمه الله تعالى، وهو يذكر صفات من يعرف فضل القرآن، فيقول: ((وإنّما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة، وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقالاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها، وأراجيزها، وأسجاعها، فعَلِمَ منها تلويين الخطاب ومعدوله، وفنون البلاغة وضروب الفصاحة... فإذا علم ذلك، ونظر في هذا الكتاب العزيز، ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان فقد أُوتي فيه العجب العجاب، والقول الفصل اللباب، والبلاغة الناصعة التي تحيّر الألباب، وتُغْلَقُ دونها الأبواب))[3].

وأحسبُ أنّ ما ذكرته من الأقوال كافٍ للتدليل على أهميّة علوم اللغة العربية لمن أراد أن يفسر القرآن، ويتذوق فيه مواطن الجمال، وإلاّ فالأقوال

---

(١) الإيمان ص ١١١.

(٢) ينظر: الإتقان ٢/٤٠١.

(٣) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ص٩.

كثيرة أعظم، وأكبر من أن تحصى، وهي موجودة في المظان التي تحدثت عن علوم القرآن.

❑ النشأة والتطور:

ليس بين أيدينا ما يُعين على القطع، أو الحكم ببداية ظهور هذا اللون من التفسير، ونشأته قبل القرن الرابع عشر الهجري، إذ لم يصل إلينا -فيما نعلم- كتاب أو تفسير يحمل عنوان (التفسير البياني).

ومن يُلقي نظرة فاحصة على التفاسير التي وصلت إلينا يجد أنّ أغلبها كانت تهتم في أحكام الشريعة، ومقررات العقيدة، أو تعنى بقصص الأقوام السالفة، والقضايا التاريخية. أمّا أن نجد تفسيرا بهذا المفهوم، أو المنحى فأمر عسير لعدم وصول مثل ذلك إلينا، ولكن هذا لا يعني أننا نعدم وجود شيء من هذا النوع من التفسير، بل هناك كثير من الالتفاتات البيانية ذكرها المفسرون في ثنايا تفاسيرهم، وهم يعرضون لتفسير آية، فيلفت أنظارهم دلالة لفظة، أو براعة تركيب، أو عدول عن أصل فيتحدثون عنه، ويظهرون جمال بيانه، ودقّة تعبيره. ومن يتصفح تفسير الطبري (ت٣١٠هـ) على سبيل المثال يجد الكثير من ذلك.

ولعلَّ كشاف الزمخشري (ت٥٣٨هـ) يمثل البداية الحقيقة لهذا النوع من التفسير من حيث التوسع، والاهتمام، والتفصيل، لعنايته الفائقة في الإبانة عن وجوه الإعجاز البياني في غير ما آية في القرآن الكريم، بطريقة فنيّة أساسها ذوقه البلاغي المرهف.

ولذا يعدُّ هذا التفسير الممثل الحقيقي لتطبيق نظرية النظم البياني التي أرسى دعائمها عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو٤٧٤ هـ).

لقد نزل القرآن الكريم بلسان قوم استوَوا على الفصاحة، ولوَوا عنان البلاغة، فصاروا فرسان البيان، وغدا خطباؤهم مصاقع لسُن يُستمع إلى كلامهم، وتصخي الآذان إلى أقوالهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، فقال: ﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٤] ولا أدلّ على علوِّ كعبهم، وسموِّ مكانتهم في بيانهم من أن تكون معجزة خاتم النبيين -صلوات الله عليهم- بلغتهم، إذ من المعروف أنّ معجزة كلّ نبيٍّ كانت من جنس ما تعارف عليه قومه، واشتهروا به.

وعلى الرغم من امتلاكهم مقاليد البلاغة، وناصية البيان، وبلوغهم الذروة في ذلك، فعندما نزل القرآن، وتحداهم أبهر عقولهم، وأخرس ملكاتهم فلم ينبسوا ببنت شفة، وقد أقرَّ كبراؤهم وجهابذتهم بعظيم بيانه، وروعة أسلوبه، واعترفوا بأن هذا القرآن ليس من عند محمد ﷺ، وليس من عند البشر، ولا من الجنِّ. فهذا الوليد بن المغيرة أحد كبار قريش وزعمائهم، وألد أعداء النبي ﷺ يقرُّ بذاك عندما استمع إلى النبي صلى عليه وسلم يتلو شيئا من القرآن، فقال: ((والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجنّ، إنَّ لهُ لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمُغْدِقٌ، وإنّه يعلو وما يُعلى))[1].

ولم يبقَ عندهم من المكر شيء سوى أن يقولوا عن القرآن، وعن من أُنزل عليه القرآن ما ينبئ صراحة عن عجزهم الشديد، وتقهقرهم الكبير عن محاكاة سورة منه، ولو كانت أقصر سورة، لا، بل آية من آياته، وهم أساطين

---

(١) الكشاف ٦٣٦/٤ شرح سورة المدثر.

البلاغة، وأبناء بجدتها في البيان، فرَمَوه تارة بالشعر، وتارة بالجنون، وتارة أخرى بالافتراء. وهي أقوال لا تمتُّ للواقع بصلة؛ بل هي أوهن من بيت العنكبوت -إذا جاز لنا التعبير- صدرت من قوم خَصِمين، جَدَلين بغير الحق.

وقد سفَّه القرآن أقوالهم هذه، فقال عز وجل: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥]، وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور: ٢٩-٣١]، وقال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٣] انمحت الأحقاد، وتلاشت الضغائن، وَمُرِّغت العجرفة في التراب، وبقي القرآن تُتْلى آياته آناء الليل وأطراف النهار في المسجد، وفي المجالس، وفي البيوت، وانكبَّ الذين شرح الله صدورهم للإيمان على قراءته وتعلّمه، ومعرفة أحكامه وحكمه.

ولا ريب في أنّ النبي صلى عليه وسلم كان أعلم الناس بكتاب الله المترل عليه، وأوعاهم له، وأقدرهم على معرفة مراد الله سبحانه وتعالى، لأنّ تبليغ الرسالة على الوجه المطلوب يقتضي فهم الرسول لرسالته على أتمِّ وجه.

أمّا الناس ولاسيما الصحابة ﷺ، فإنّهم وإن كانوا عَهْدَ نزول القرآن، وأنهم فاهمون لما فيه، لأنهم أصل العربية لغة القرآن، وفيهم أصل الفصاحة، وعندهم أسرار لغتهم التي ما زالت نقية لم تشبها شائبة العجمة، وأنّ التحدي وجِّه للخلق جميعا بيد أنهم متفاوتون في الفهم والإدراك، والوقوف على معاني

المفردات، ولذلك كان من الطبيعي أن يحصل التفاوت في إدراك بعض كلام الله تعالى، ومعرفة وجه دلالته. فمن أشكل عليه شيء من ذلك رجع إلى النبي ﷺ ليوضحه لهم، ويزيل عنهم ما أشكل عليهم.

وقد أفرد البخاري في صحيحه باباً للتفسير[1]، وكذا فعل الإمام مسلم[2]، والإمام الترمذي[3] -رحمهم الله تعالى-، فمن ذلك، لمّا نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] شقا ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، وأيّنا لايظلم نفسه، فقال عليه الصلاة والسلام: ليس هو ذلك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] أي: أنه فسَّر الظلم بالشرك، ومن ذلك قوله عندما سأله ابن عباس رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] أي: حالا بعد حال[4].

وطبيعة الأسئلة التي سألها الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- كثيرٌ منها لاستيضاح مدلولات ألفاظ يجهلون معناها، أو غَرُبَ عليهم ذلك.

وكشفُ معانيها، وبيانها من النبي ﷺ يمكن أن نعُدَّه الأساس القويم الذي قام عليه من بَعْدُ هذا النوع من التفسير.

وقد أرجع بعض الباحثين الخطوات الأولى لهذا النوع من التفسير، والتحليل البياني إلى زمن الرسول ﷺ، إذ تعرَّض لتوضيح شيء من بيان،

---

(١) ينظر: صحيح البخاري ١٦/٦ وما بعدها.

(٢) ينظر: صحيح مسلم ١٢/٤، ٢٣ وما بعدها.

(٣) ينظر: سنن الترمذي ٤٩/٥ وما بعدها.

(٤) ينظر: صحيح البخاري ١٦٨/٦.

وتشبيهات القرآن، وكناياته التي سُئل عنها[1].

ونستطيع أن نقول مطمئنين: إنَّ التفسير البياني يعدُّ أولَ أنواع التفسير ظهورا، غير أنّه لم يُفرد له تأليف خاص به، ويصل إلينا بهذا اللون التفسيري؛ بل تداخل مع التفاسير الأخرى التي غلب عليها منهج أصحابها، وعُرفت بالاتجاه العلمي الذي برعوا، وعُرفوا به. فالذي طغى عليه علم اللغة، والنحو نراه يصب اهتمامه على هذين العلمين أكثر من غيرهما، كما فعل الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، والواحدي في تفسيره البسيط، وأبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط.

والذي طغت عليه العلوم العقلية يعنى بأقوال الفلاسفة والحكماء، كما فعل الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب. والذي يطغى عليه علم الفقه تراه يصب اهتمامه على المسائل الفقهية، كما فعل الجصاص، والقرطبي، وهكذا شأن بقية التفاسير.

وبعد وفاة الرسول ﷺ بَقِي الصحابة الكرام على قوة إدراكهم لفنون لغتهم في التعبير، وسُمُوِّ ذوقهم في إدراك التعابير القرآنية، لكن هذا لا يعني أنهم كانوا محيطين بأسرار اللغة، وأساليب التعبير، فقد غمض على كبار الصحابة شيء من ذلك فمن ذلك ما رُوي عن عمر بن الخطاب ﷺ، أنّه قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبُّ[2]؟، وعن ابن عباس ﷺ، قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، وقال الآخر:

---

(١) ينظر: المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث- د. عقيد العزاوي ص ٢٩.

(٢) ينظر: الإتقان ١/٢٤٥.

أنا ابتدأتها[1].

وقمينٌ بنا أن نذكر أنَّ ما عمله ابن عباس ﷺ في هذا العهد من خلال الأسئلة التي أجاب عنها يُعَدُّ التطبيق الأول للتفسير البياني، إذ كان يوضح معاني الكلمات حسب سياق الآية معتمداً في ذلك على أقوال العرب وأشعارها.

وإذا ما غادرنا عصر الصحابة، ومن جاء بعدهم من التابعين ﷺ نجد أنَّ هذا المنحى من التفسير قد نال عناية أكثَرَ من الدارسين، ولاسيما في القرن الثاني الهجري، بعد أن دخل كثير من الأقوام في الإسلام، وأقبلوا على دراسة القرآن، وحرصوا على تعلمه، فرأى العلماء أنّ الناس بهم حاجة كبيرة إلى بيان ما انبهم عليهم من أساليب القرآن، وطرائق تعبيره، ولاسيما بعد أن ضَعُفت السليقة، وفَشا اللحن بين الناس.

ونجد هذا الأمر جليّا عند النحاة واللغويين القدامى، وكذا عند العلماء الذين عَنَوا في دراساتهم بالكشف عن إعجاز القرآن الكريم. فكلُّ من حاول أن يعرف السبيل إلى وجه الإعجاز القرآني نظر في علوِّ بلاغة القرآن، وسموِّ بيانه، وعظم فصاحته، وروعة نظمه.

وفي هذا الصدد تقول الدكتورة بنت الشاطئ: ((والواقع أنَّ المصنفات الأولى في الإعجاز، على اختلاف مذاهب أصحابها جاءت أشبه بمباحث بلاغية ممّا قدروا أنّ إعجاز القرآن يُعرف بها، وإن استوعبت أقوال المتكلمين في وجوه الإعجاز. فرسائل الخطابي السُّني، والرمَّاني المعتزلي، والباقلاني الأشعري تأخذ مكانها في المكتبة البلاغية))[2].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن- د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ص ٩٤.

وهكذا استمرَّ هذا المنحى البلاغي، والبياني عند من تحدثوا عن الإعجاز القرآني، وبيان وجوهه منذ النشأة حتى العصر الحديث ما عدا الدراسات التي انفردت بالحديث عن الإعجاز العلمي[1].

ومن هنا نستطيع أن نعزز قولنا السابق: إنَّ التفسير البياني هو أقدم أنواع التفسير، وأولها ظهوراً، لكن لم يصل إلينا بين دفَّتي كتاب، أو تفسير خاص به، إنما تداخل مع ألوان التفاسير الأخرى، ومع أكثر من علم من علوم القرآن، وفي مقدمة ذلك الدراسات التي قامت للكشف عن بيان إعجاز القرآن، بدءا من القرن الثاني الهجري، وما بعده وقد وجدنا ملامحه بارزة عند قدامى النحاة واللغويين في كتبهم التي وصلت إلينا. وهذا ما سنتحدث عنه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

❑ أهداف التفسير البياني:

من المعلوم أنَّ لكلِّ علم هدفه، وغايته التي يريد أن يصل إليها واضعوه أو مؤسسوه. وفيما مرَّ ألمحنا إلى شيء من أهداف هذا اللون من التفسير، وهنا سنوضح أهداف هذا التفسير، وبيان أهميته.

إنَّ أهم أهداف التفسير البياني هو الكشف عن أسرار التركيب القرآني، وبيان مراميه، وإظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، وإبراز ما فيه من جمال النظم، ورفعة بلاغته، وسموِّ فصاحته.

وهذا الذي ذكرناه لا يعني أنَّ في القرآن الكريم مغاليق، وإشكالات يصعب إدراكها، ويعسر فهمها؛ بل هو من اليسر، والسهولة بمكان سواء في أسلوبه، أو معانيه، أو أحكامه. ولكن لكلٍّ فهمه، وإدراكه في تجلّي معانيه،

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن ص ٩٤-٩٧.

وبيان أحكامه، فمن كان حظه من العلوم أوفر كان نصيبه من القرآن وعلومه أكثر[1].

ومن يقرأ القرآن بتدبّر، ويعيد قراءة آياته بإمعان تنكشف له هذه الحقيقة — أعني حقيقة يُسْرِ القرآن- ويقف في كلِّ قراءة على معانٍ، وأحكام لم يُدْركها من قَبْلُ في القراءات السابقة. وقد أشار الباري عزَّ وَّجل إلى ذلك، فقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

فالقرآن الكريم الذي أنزله الله رحمة للناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى سواء السبيل ((ليس كتاب العلماء وحدهم، وليس كتاب الفقهاء ورجال الدين وحدهم، وليس كتاب طبقة أو طائفة من الناس دون الناس، وإنما هو كتاب ربِّ الناس، للناس جميعا. كلٌّ يأخذ منه على قدر ما يبلغ جهدُه، ويتسع له عقله وقلبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] ولكن القرآن مع هذا اليسر، ومع هذه السماحة لا يسمح بخيره إلا لمن كان له قلب حاضر معه يتدبّر به آياته، ويخشع لعظاته، وكان من الذين قال الله فيهم: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] أمّا من يقرأ القرآن بلسانٍ بينه، وبين قلبه حجاب، أو يستمع إليه بأُذنٍ مضروب بينها، وبين القلب بسور له باب، فإنّه لن ينتفع من القرآن بشيء، ولن يبلغ من خيره إلا كباسط كفَّيه إلى الماء ليبلغ فاه، وما هو ببالغه!.

إنَّ القرآن مع علوِّ كعبه ذلك العلوُّ السَّامق، هو قريب المنال، سهلُ المورد،

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/٩٥.

ولكن لِمن جاء إليه بأُذنٍ واعية، وقلب سليم، أشبه بالشّمس تملأ العيون الناظرة إليها ضياءً، على حين تمتلئ العيون المغلقة دونها ظلاماً مطبقاً))[1].

أمّا أهمية التفسير البياني فلعلّ أهم ما يتوخى منه هو بناء روابط متينة، وإقامة صلات وثيقة في قلب المؤمن الذي يؤمن بكتاب الله، ليزداد إيمانا، ويقينا بأن مصدر هذا الكتاب هو الله سبحانه وتعالى، فالكلام كلامه وليس كلامَ النبي محمد ﷺ، أو كلام أحد يُملى عليه، كما زعم المتخرصون، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤].

إنّ في هذا النوع من التفسير، ولاسيما في عصرنا الحديث إيقاظاً لإحساس المسلمين بعظمة كتابهم الكريم، ودفعا قويّا لهم لنفض ما ران على قلوبهم من ركام الغفلة والنسيان، وليعيدوا تدبّر كتاب الله الذي أنزله إليهم شفاءً ورحمة، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

□ نماذج من التفسير البياني عند قدماء النحويين واللغويين:

كان هناك في القرن الثاني الهجري، وبداية القرن الثالث الهجري طائفة من النحويين واللغويين قد عُنُوا في مؤلفاتهم التي وصلت إلينا بشيء من الوجوه البلاغية، والخصائص البيانية لآي الذكر الحكيم التي تعرضوا إليها، وهم يتكلمون على القواعد النحوية، والمسائل الصرفية، والظواهر اللغوية التي تشتمل عليها الآيات الكريمة، كما نجده عند سيبويه (ت ١٨٥هـ)، والفراء (ت٢٠٧هـ)، وأبي عبيدة (٢١٠هـ)، والأخفش (ت ٢١٥هـ)، وغيرهم.

---

(١) الإعجاز في دارسات السابقين- عبد الكريم الخطيب ص ٢٨-٢٩.

وسنذكر نماذج من التفسير البياني عند هؤلاء الأربعة الذين وصلت إلينا كتبهم.

أولاً: سيبويه[1]

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى بني الحارث بن كعب. اشتهر بين النحاة بلقبه سيبويه، وهو اسم فارسي، معناه: رائحة التفاح. ولد في قرية من قرى شيراز في بلاد فارس، وبعد أن انتقلت عائلته إلى البصرة، مركز الثقافة الإسلامية، واستقرت فيها نشأ سيبويه، وتلقى العلوم فيها. فأخذ القراءات، وطلب الفقه والحديث على حماد بن سلمة (ت١٦٩هـ) رحمه الله، وهو الذي دفع سيبويه لتعلّم النحو، فأخذه عن عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩هـ)، ثمَّ لزم حلقة الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، واختصَّ به، ولازمه حتى وفاته رحمه الله تعالى. ويكاد كتاب سيبويه يعتمد على آراء شيخه الخليل، لكثرة ما نَقل عنه فيه، وكان سيبويه يعظم شيخه، ويجلّه، ويقدره حقَّ تقديره حتى أنه يذكر رأيه في كتابه من غير أن يذكر اسمه، ويكتفي بأن يقول: (وسألته) أو: (وزعم) أو: (قال) وغير ذلك من العبارات التي تدل على نقله عن أستاذه الجليل.

ومن شيوخه الذين درس عليهم، وأخذ عنهم يونس بن حبيب (ت ١٨٣هـ) ونقل عنه كثيرا في كتابه، وكذلك أخذ عن أبي الخطاب الأخفش الكبير الذي لم تعرف سنة وفاته، وقد روى عنه كثيرا في كتابه. وأخذ عنه

---

(١) ينظر: ترجمته في: مراتب النحويين واللغويين- لابي الطيب اللغوي ص ٦٥ وأخبار النحويين للبصريين- للسيرافي ص٤٨ نزهة الألباء ص ٣٨، انباه الرواة ٢/ ٣٥٠ ودراسة محقق الكتاب- عبد السلام هارون ١/ ٣ وما بعدها.

جماعة، أشهرهم، الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة المجاشعي الذي احتفظ بكتاب سيبويه، وقرأه الناس عليه، وهو أسنُّ من سيبويه، (ت ٢١٥هـ).

وأبو علي محمد بن علي المستنير، المعروف بقطرب النحوي، لازم سيبويه، وهو الذي سمّاه قطربا، لأنه كان يخرج في الأسحار فيراه على بابه، (ت ٢٠٦هـ)، ومّن أخذ عنه مباشرة رجل يعرف بـ(الناشئ) وضع كتباً في النحو لكن لم تصل إلينا.

خلّف سيبويه للعربية كتابه الخالد الذي لا يزال عمدة الدارسين، وقد عظمه العلماء القدامى والمحدثون.

يقول الأستاذ علي النجدي في كتاب سيبويه: ((الكتاب: هو هذا السفر العظيم الذي أقامه العالم الجليل في ساحة الخلود أثراً، وأرسله مع الأيام ذكرا، وادَّخره للعربية كنزاً، وندبه في العالمين شاهداً على براعته فيها، ونفاذه إلى أسرارها، وإمامته في الاشتراع لها، وضبط أصولها على نحو يعزُّ نظيره في الأولين والآخرين شمول إحاطة، وبراعة أستاذية، وسلامة تحليل، وصدق نظر، وصحة حكم. وليس لنحويٍّ قديم، ولا حديث كتاب يجاري كتاب سيبويه أو يدانيه))[1].

والكتاب هو سفر كبير في دراسة النحو واللغة، ولاسيما علمي الصرف والأصوات، أي: هو دراسة في أساليب العربية وبنية مفرداتها.

ويعد سيبويه من أقدم النحاة الذين أولوا اهتمامهم للوجوه البلاغية، والأساليب البيانية في الكلام. فقد عرض في كتابه لبعض الخصائص الأسلوبية التي عُني بها فيما بعد علم المعاني، مثل التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير،

---

(١) الكتاب- سيبويه إمام النحاة ص ٢، ١٢٣.

والحذف والذكر، وعرض كذلك للمعاني المختلفة للأدوات، وفي الكتاب إشارات إلى مسائل بيانية.

فالنحو عند سيبويه لم يكن مقتصرا على بيان القواعد النحوية، وإنما كان يمتدُّ به إلى بيان سياقات النص، ودلالة التراكيب وما يترتب على صورها من معانٍ.

وقد رصد العلماء هذه الناحية من قبل. فقد ذكر الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله ذلك بقوله: ((فسيبويه وإن تكلم في النحو فقد نبّه في كلامه على مقاصد العرب، وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أنَّ الفاعل مرفوع ، وأنّ المفعول منصوب، ونحو ذلك. فهو يبين في كلِّ باب ما يليق به حتى احتوى على علمي المعاني والبيان، ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني))[1].

وسأذكر بعض الأمثلة على ذلك:

- فهو عندما يتحدث عن تقديم المفعول به على الفاعل يذكر أن سبب التقديم في كلامهم أساسه الاهتمام والعناية، فقال: ((فإن قدّمت المفعول وأخَّرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: ضرب زيدا عبدُ الله، لأنك إنّما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدَّماً، ولم تُرد أن تشغل الفعل بأولَ منه وإن كان مؤخراً في اللفظ. فمن ثَمَّ كان حدُّ اللفظ أن يكون فيه مقدَّماً، وهو عربيٌّ جيّد كثير، كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بيانُه أهمُّ لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهممّانِهم ويَعْنِيانِهم))[2].

---

(١) الموافقات- للشاطبي ٥/٥٤.

(٢) سيبويه ١/٣٤.

وفي حديثه في باب تُخْبر فيه عن النكرة بنكرة، يشير إلى أن من أغراض التنكير المدحَ والتعظيم، فقال: ((أتاني اليومَ رجلٌ، أي في قوته ونفاذه، فتقول: ما أتاك رجلٌ، أي: أتاك الضعفاء))[1].

وفي حديثه عن حذف الفعل وجوباً في باب المصدر الذي لا يصح الإخبار به عن المبتدأ، نحو: ما أنت إلا سيرا، وأنت سيرا سيرا، يذكر أنّ هذا الحذف يحصل إذا كان الحدث مستمرّاً متصلاً، قال: ((واعلم أنّ السير إذا كنت تخبر عنه في هذا الباب، فإنما تُخْبر بسَيْرٍ متّصل بعضه ببعض في أي الأحوال كان. وأما قولك: إنما أنت سيرٌ، فإنّما جعلته خبراً لأنت و لم تضمر فعلاً))[2].

وفي التعليق في باب أفعال القلوب، الذي هو ترك العمل لفظاً لا محلاً لوجود مانع، يرى أنّ لام الابتداء عندما تدخل على الجملة المعَلَّقة تفيد التوكيد، فقولك: علمت لخالدٌ ناجحٌ آكد من قولك: علمت خالداً ناجحاً، قال سيبويه: ((ومن ذلك: قد علمتُ لعبدُ الله خيرٌ منك، فهذه اللام تمنع العمل، كما تمنع ألف الاستفهام، لأنها إنّما هي لام الابتداء، وإنّما أُدخلت عليه (علمتُ) لتُوكّد وتجعله يقينا قد علمته، ولا تحيل على علم غيرك))[3].

وعند كلامه على النعت المقطوع، الذي هو مغايرة النعت للمنعوت في الإعراب، نحو: سلّمتُ على محمدٍ الكريمَ، أو الكريمُ، يرى أنّ المنعوت متصف بذلك النعت، وأنّ السامع يعرف ذلك، كما يعرفه المتكلم لكن فيه دلالة معنوية، وهي أنّ الموصوف مشهور بالصفة المقطوعة.

---

(١) الكتاب ١/٥٥.

(٢) الكتاب ١/٣٣٦.

(٣) المصدر نفسه ١/٢٣٦.

قال سيبويه: ((هذا باب ما ينتصب على التعظيم والمدح، وإن شئت جعلته صفة فجرى على الأوَّل، وإن شئت قطعته فابتَدَأتَه. وذلك قولك: الحمدُ لله الحميدَ هو، والحمد لله أهلَ الحمد والملك لله أهلَ الملك. ولو ابتدأته فرفعته كان حسناً، كما قال الأخطل:

نَفْسي فداءُ أميرِ المؤمنين إذا ... أبْدى النَّواجذَ يومٌ باسلٌ ذَكَرُ

الخائضُ الغَمْرَ والميمونُ طائرُه ... خليفَةُ اللهِ يُسْتَسْقى به المَطَرُ

... زعم الخليل أنّ نصب هذا على أنّك لم ترد أن تحدِّث الناس ولا من تُخاطب بأمرٍ جهلوه، ولكنّهم قد علِموا من ذلك ما قد علمتَ، فجعله ثناء وتعظيما ونصبه على الفعل، كأنّه قال: أذكرُ أهلَ ذاك، وأذكر المقيمينَ، ولكنّه فِعْلٌ لا يستعمل إظهارُه. وهذا شبيه بقوله: إنّا بني فلانٍ نفعل كذا، لأنّه لا يريد أن يُخبر من لا يدري أنّه من بني فلان، ولكنه ذكر ذلك افتخاراً وابتهاءً))[1].

وقال أيضاً: ((هذا باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه، تقول: أتاني زيدٌ الفاسقَ الخبيثَ: لم يرد أن يكرره ولا يعرِّفك شيئاً تُنكره، ولكنه شتمه بذلك))[2].

وفي الكتاب كثير من هذه التوجيهات المعنوية. فلا يكاد يذكر أسلوباً، أو طريقة تعبير، أو استعمالاً للفظٍ، أو حرفٍ حتى يبين معناه وسبب استعماله.

---

(١) الكتاب ٢/٦٢-٦٦.

(٢) المصدر نفسه ٢/٧٠.

نماذج من التفسير البياني في كتابه:

❑ حذف المفعول به لدلالة الأول عليه وعلم المخاطب به:

قد يُحذف المفعول به من الكلام لفظا، ولكنه مراد معنى وتقديراً. وهذا هو الذي يسميه النحاة: الحذف اختصارا، أي: أنّ المخاطب يعلمه للدلالة عليه.

وقد ذكر سيبويه رحمه الله ذلك، وهو يستشهد بآية كريمة، فقال: ((وممّا يقوِّي ترك نحو هذا لعلم المخاطب، قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الأول استغناء عنه))[1] أي: حذف مفعول الحافظات، ومفعول الذاكرات، فلم يقل: والحافظات فروجهنَّ، والذاكرات الله كثيراً؛ لأنّه مرَّ ذكره، وعلم المخاطب به.

❑ حذف المضاف:

قد يُحذف المضاف إذا دلّت عليه قرينة. وللحذف أغراض كثيرة[2]، منها الاتساع في الكلام والاختصار.

قال سيبويه: ((وممّا جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]. إنّما يريد أهل القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملا في الأهل لو كان ههنا... ومثله في الاتساع قوله عزَّ وجل: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) الكتاب- لسيبويه ١/٧٤.

(٢) ينظر: معاني النحو ٣/١٣٧-١٤٠.

كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة ١٧١] فلم يُشَبَّهوا بما ينعقُ، وإنّما شُبِّهوا بالمنعوق به، وإنّما المعنى: مثلُكم ومثلُ الذين كفروا كالناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ولكنه جاء على سَعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب به))[1].

□ قطع الفعل عن الفعل المنصوب قَبْلَه ورَفْعُهُ على الاستئناف:

ذكر سيبويه أنّ الحروف التي تُشْرك الفعل الذي بعدها بالنصب مع الفعل الذي قبلها المنصوب بـــ(أن) أربعة، وهي: الواو، والفاء، وثمَّ، و أو. ويجوز رفع الفعل بعد هذه الأحرف على الاستئناف وحينئذ يكون المعنى مغايراً للمعنى الأول.

قال سيبويه: ((هذا باب إشراك الفعل في (أن) وانقطاع الآخر من الأول الذي عمل فيه (أن) فالحروف التي تشرك: الواو، والفاء، وثمَّ، و أو. وذلك قولك: أريد أن تأتيني ثمَّ تُحدثَني، وأريد أن تفعل وتُحسِنَ.... ولو قلت: أريد أن تأتيَني ثمَّ تحدثُني جاز، كأنك قلت: أريد إتيانك ثمَّ تحدثُني، ويجوز الرفع في جميع هذه الحروف التي تشرك على هذا المثال... وتقول: أريد أن تأتيني فتشتُمني، لم يرد الشتيمة، ولكنه قال: كلّما أردتُ إتيانك شتمتني. هذا معنى كلامه، فمن ثَمَّ انقطع من (أن) قال[2]:

«يُريد أن يُعْرِبَه فيعجمُهُ»

أي: فإذا هو يعجمُهُ.

---

(١) الكتاب ١/٢١٢.

(٢) أي: رؤبة بن العجاج.

وقال الله عزَّ وجل: ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [الحج: ٥] أي: ونحن نقرُّ في الأرحام، لأنّه ذكر الحديث للبيان، ولم يذكره للإقرار))[1]. أي: أنه أستأنف، لأنه لم يرد العطف على التعليل السابق.

وقال السيرافي معلقاً على كلام سيبويه: ((لا يصحُّ نصب (نُقرُّ) وحمله على (نبينَ)، وذلك أنّ الله عزّ وجل ذكر خلق الإنسان من تراب، ونقله من حال إلى حال، وهم معترفون بذلك ليبيِّن به البعث الذي لا يعترفون به، فقال عزَّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ...﴾ الآية، فبيَّن جلّ ثناؤه بقدرته على هذه الأحوال التي يعترفون بها، قدرته على البعث، لأنه إحياء ما قد بَلى ورمَّ، وصار ترابا، من الجلد والعظم وغير ذلك، ونقله إلى الحياة كنقل التراب إلى الحيوان في الابتداء. وذكر الله تبارك وتعالى ذلك ليبين لهم أمر البعث، وليس ذكره لذلك ليُقرَّ في الأرحام))[2].

❑ المصدر (المفعول المطلق) المؤكد لمضمون الجملة، المؤكد لنفسه

المفعول المطلق المؤكد لمضمون الجملة نوعان. المؤكد لغيره، نحو: أنت ابني حقا. فقولنا: أنت ابني. يحتمل البنوَّة الحقيقية، وتحتمل البنوة غير الحقيقية، أي: أنت في الحنوِّ في منزلة الابن، وإذا أردنا المعنى الأول قلنا: أنت ابني حقاً.

أمّا النوع الآخر فهو المؤكد لنفسه، أي: أنّ معنى المصدر معلوم من الجملة السابقة، وإنّما جيء بالمصدر لأجل التوكيد.

قال سيبويه: ((هذا باب ما يكون المصدر فيه توكيداً لنفسه نصباً. وذلك قولك: له عليَّ ألفٌ درهم عُرفاً... وإنّما صار توكيداً لنفسه، لأنّه

---

(١) الكتاب ٣/٥٢-٥٣.

(٢) الكتاب ٣/٥٢.

حين قال: له عليَّ، فقد أقرَّ واعترف... ولكنه قال: عرفا... توكيداً، كما أنّه إذا قال: سِيرَ عليه. فقد عُلم أنّه كان سَيْرٌ، ثمّ قال: سَيْراً توكيداً.

واعلم أنه قد تدخل الألف واللام في التوكيد في هذه المصادر المتمكنة التي تكون بدلا من اللفظ بالفعل، كدخولها في الأمر والنهي والخبر والاستفهام، فأجروها في هذا الباب مجراها هناك. وكذلك الإضافة بمنزلة الألف واللام.

فأمّا المضاف فقول الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ﴾ [الروم: ٣-٨].

وقال جلّ وعزّ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ﴾ [السجدة: ٧]، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [النساء: ٢٤]... لأنه لّما قال جلّ وعزَّ: (مرَّ السحاب)، وقال: (وأحسن كلّ شيء) عُلم أنّه خَلْقٌ وصَنْعٌ، ولكنّه وكَّدَ وثبَّت للعباد، ولّما قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ حتى انقضى الكلام، علِم المخاطبون أنّ هذا مكتوب عليهم، مثبت عليهم، وقال: كتاب الله توكيداً، كما قال: صُنْعَ الله، وكذلك: وَعْدَ الله، لأنّ الكلام الذي قبله وعدٌ وصنعٌ، فكأنه قال جلَّ وعزَّ: وَعْداً، وصُنْعاً، وخَلْقاً، وكتاباً))[1].

---

(١) الكتاب ١/٣٨٠-٣٨٢.

❑ نصب المفعول المطلق بالفعل المتروك إظهاره

هناك مصادر لا تستعمل إلا منصوبة ولا تظهر أفعالها، لأن هذه المصادر قامت مقام أفعالها، مثل: سبحان الله، ومعاذ الله، وريحانه.

يقول سيبويه: ((هذا باب أيضاً من المصادر ينتصب بإضمار الفعل المتروك إظهاره، ولكنها مصادر وضعت موضعاً واحداً لا تتصرف في الكلام تصرف ما ذكرنا من المصادر. وتصرفها أنها تقع في موضع الجرِّ، والرفع، وتدخلها الألف واللام. وذلك قولك: سبحان الله، ومعاذ الله، وريحانه... كأنه حيث قال: سبحان الله قال: تسبيحاً، وحيث قال: وريحانه قال: واسترزاقاً، لأنَّ معنى الرَّيحان الرِّزق، فنصب هذا على أسبح تسبيحاً... وخزل الفعل ههنا، لأنه بدل من اللفظ بقوله: أسبحك واسترزقك... ومثل هذا قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢] أي: حراماً محرَّماً، يريد به البراءة من الأمور، ويُبَعِّد عن نفسه أمراً، فكأنّه قال: أحرِّمُ ذلك حراما محرَّما. ومثل ذلك أن يقول الرجل للرجل: أتفعل كذا وكذا؟ فيقول: حجراً، أي: سترا وبراءة من هذا))[1].

❑ رفع المصدر المنصوب بالفعل المتروك إظهاره:

يجوز رفع المصدر المنصوب النائب عن فعله، فتقول في (صبراً جميلاً): (صبرٌ جميل) وحينئذ يكون (صبر) مبتدأ وخبره محذوف، أو خبراً لمبتدأ محذوف. وهناك فرق في المعنى بين التعبيرين. فـ(صبراً) بالنصب مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً. والجملة فعلية، والفعل يدلُّ على التغيّر والحدوث. وفي الثانية (صبر) بالرفع يكون مبتدأً، أو خبرا، والجملة اسمية،

---

(١) الكتاب ١/٢٢٤-٢٢٦.

والاسم يدلُّ على الاستقرار والثبوت.

يقول سيبويه: ((وقد جاء بعض هذا[1] رفعاً يبتدأ به، ثمَّ يبنى عليه[2]... وسمعنا بعض العرب الموثوق به يُقال له: كيف أصبحت؟ فيقول: حمدُ الله وثناءٌ عليه. كأنّه يحمله على مضمر في نيته هو المظهر، كأنّه يقول: أمري وشأني حمدُ الله وثناءٌ عليه. ولو نصب لكان الذي في نفسه الفعل، ولم يكن مبتدأً لِيُبْنى عليه، ولا ليكون مبنيّا على شيءٍ هو ما أظهَرَ... ومثله في أنه على الابتداء وليس على الفعل قوله عزّ وجل: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤] لم يريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً من أمر ليمُوا عليه، ولكنّهم قيل لهم: لِمَ تعظون قوماً؟ قالوا: موعظتُنا معذرة إلى ربّكم. ولو قال رجلٌ لرجل: معذرةٌ إلى الله وإليك من كذا وكذا، يريد اعتذاراً لنصبَ))[3].

❑ (أم) المنقطعة تفيد الإعلام والتبصير بالشيء:

(أم) المنقطعة عمّا قبلها لا تفيد استفهاماً، وإنّما تفيد توقع الجواب والتعريف، أو التبصير والعلم به. يقول سيبويه: ((هذا باب (أم) منقطعة، وذلك قولك: أعمرو عندك أم عندك زيدٌ. فهذا ليس بمنزلة: أيُهما عندك؟ ألا ترى أنّك لو قلت: أيُهما عندك، لم يستقم إلا على التكرير والتوكيد. ويدلك على أنّ هذا ألآخر منقطع من الأول قول الرجل: إنّها لإبلٌ أم شاءٌ يا قوم. فكما جاءت (أم) ههنا بعد الخبر منقطعةً، كذلك تجيء بعد الاستفهام.... وبمنزلة أم ههنا قوله عزّ وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ

---

(١) أي: المصادر المنصوبة بأفعال محذوفة.

(٢) أي: يخبر عنه.

(٣) أراد قراءة رفع (معذرة). الكتاب ١/٣١٩-٣٢٠.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة: ١].

فجاء هذا الكلام على كلام العرب قد علم تبارك وتعالى ذلك من قولهم. ولكن هذا على كلام العرب لِيُعَرَّفوا ضلالتهم.

ومثل ذلك ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢] كأنّ فرعون قال: أفلا تبصرون. أم أنتم بصراء. فقوله: أم أنا خيرٌ من هذا، بمنزلة: أم أنتم بصراء، لأنهم لو قالوا: أنت خيرٌ منه كان بمنزلة قولهم: نحن بصراء عنده، وكذلك أم أنا خيرٌ بمنزلته لو قال: أم انتم بصراء. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الزخرف: ١٦] فقد علم النبيُّ ﷺ والمسلمون أنّ الله عز وجل لم يتخذ ولداً. ولكنه جاء على حرف الاستفهام لِيُبَصَّروا ضلالتهم. ألا ترى أنّ الرجل يقول للرجل: آلسعادةُ أحبُّ إليك أم الشقاء؟ وقد علم أنّ السعادة أحبُّ إليه من الشقاء، وأنّ المسؤول سيقول: السعادة، ولكنّه أراد أن يُبَصِّر صاحبه وأن يُعْلِمَهُ))[1].

❑ واو الحال بمعنى إذ وهي للزمن الماضي:

يرى سيبويه أن (واو الحال) تكون بمعنى (إذ) وهي للزمن الماضي. قال: ((وأمّا قوله عزّ وجل: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] فإنّما وجهوه على أنّه يغشي طائفةً منكم وطائفةٌ في هذه الحال، كأنه قال: إذ طائفة في هذه الحال، فإنّما جعله وقتا، ولم يُرِد أن يجعلها واو عطف، وإنما هي واو الابتداء))[2].

---

(١) الكتاب ٣/١٧٢-١٧٣.

(٢) الكتاب ١/٩٠.

❑ مجيء (ما) غير الكافة بعد حرف الجرّ تفيد التوكيد.

قال سيبويه: ((وأمّا قوله عزّ وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥] فإنّما جاء لأنّه ليس لـ(ما) معنى سوى ما كان قبل أن تجيء إلا التوكيد، فمن ثمَّ جاز ذلك إذا لم تُرَد به أكثر من هذا))[١].

- الفـــرّاء:

هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي. والفرّاء لقبه، لأنه كان يُفري الكلام، أي: يحسن تقطيعه وتفصيله[٢]. ولد في الكوفة سنة ١٤٤هـ، ونشأ وترعرع فيها، واختلف إلى شيوخها وأخذ عنهم، ومن أبرزهم أبو بكر ابن عياش، والكسائي، وسفيان بن عيينة، وأبو جعفر الرؤاسي، وعندما رحل إلى البصرة أخذ عن يونس بن حبيب[٣].

وكان لقوة حفظه وسعة ثقافته، وتنوع علومه ومعارفه الأثر الكبير في أن يتبوأ مكانة علمية سامية. يقول ثمامة بن الأشرس المعتزلي عن الفرّاء بعد أن لقيه، وهو يتردد على باب المأمون ((فرأيت أبّهة أديب، فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحراً، وفاتشته عن النحو فشاهدته نَسيجَ وحده، وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيها عارفاً باختلاف القوم، وبالنحو ماهراً، وبالطب خبيراً، وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً، فقلت: مَنْ تكون؟ وما أظنُّك إلا الفرّاء، فقال أنا هو. فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين))[٤]. وقد ترأس المدرسة الكوفية بعد

---

(١) الكتاب ١/١٨٠-١٨١.

(٢) ينظر: إنباه الرواة ٤/١٥، بغية الوعاة للسيوطي ٢/٣٣٣.

(٣) ينظر: المصدران أنفسهما.

(٤) وفيات الأعيان- ابن خلكان ٥/٢٢٥.

شيخه الكسائي.

((وكان يقال: النحو الفرّاء، والفرّاء أمير المؤمنين في النحو))[1].

وكانت وفاته رحمه الله سنة ٢٠٧هـ[2].

وكتابه (معاني القرآن) يعَدُّ من أوائل التفاسير المدوّنة التي وصلت إلينا مرتبا على وفق ترتيب المصحف الشريف، ولكنه لا يفسر القرآن بالطريقة المعروفة عند المفسرين الذين وصلتنا تفاسيرهم، وإنما كان يتخيَّر من الآيات على وفق ترتيب السور ما يعتقد أنّه يشكل في القرآن، وبه حاجة إلى شيء من العناء وكدِّ الذهن في فهمه فيفسره ويبين معناه، ويديرُ حوله مباحثه اللغوية والنحوية، ذاكراً ما اختاره من مصطلحات نحوية جديدة تختلف عن تلك التي اختارها البصريون، ناثراً من حين إلى حين آراء شيخه الكسائي، فضلاً عن آراء البصريين[3].

لقد عُني الفرّاء رحمه الله في كتابه (معاني القرآن) وهو يفسِّر آيات الذكر الحكيم بذكر التراكيب، وتحدث عن صورها، كالتقديم والتأخير في الألفاظ، والإيجاز والمعاني التي تخرج إليها بعض أدوات الأساليب، كأدوات الاستفهام، كما عرض إلى كثير من الصور البيانية التي اشتملت عليها آيات الذكر الحكيم.

---

(١) تاريخ بغداد ١٥٢/١٤ وينظر نزهة الألباء ٨٣/١.

(٢) ينظر: الفهرست لابن النديم ٩٢/١.

(٣) ينظر: المدارس النحوية- د. شوقي ضيف ص١٩٤.

نماذج من التفسير البياني في (معاني القرآن):

❑ استعمال ضمير الجمع للمثنى:

يرى الفرّاء جواز استعمال ضمير الجمع للمثنى مراعاة للمعنى، أي: إذا أُريد معنى الجمع بذكر ضمير المثنى.قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦] ((فإنّه خاطب آدم وامرأته، ويقال أيضاً: آدم وإبليس، وقال: (اهبطوا) يعنيه ويعني ذريته، فكأنّه خاطبهم. وهو كقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. ومثله قول إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ ثمّ قال: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨].

وفي قراءة عبد الله: (وأَرِهم مناسكهم) فجمع قبل أن تكون ذرّية. فهذا ومثله في الكلام ممّا يتبين به المعنى أن تقول للرجل: قد تزوّجت ووُلِد لك فكثرتم وعززتم))[1].

❑ جمع الجوارح إذا أُضيفت إلى ضمير المثنى أو الجمع:

إذا أضيفت الجوارح إلى ضمير المثنى، أو ضمير الجمع يذكر الفرّاء اختيار جمعهما، مبينا سبب ذلك، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] ((وإنّما قال: (أيديهما) لأنَّ كلَّ شيء موَّحد من خَلْقِ الإنسان إذا ذُكر مضافا إلى اثنين فصاعدا جُمع. فقيل: قد هُشِّمت رؤوسهما، وملأتُ ظهورهما وبطونهما ضرباً، ومثله:

---

(١) معاني القرآن ١/٣١.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] وإنّما اختير الجمع على التثنية، لأن أكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين في الإنسان: اليدين، والرجلين والعينين. فلمّا جرى أكثره على هذا ذهب بالواحد منه إذا أضيف إلى اثنين مذهب التثنية))[1].

❑ استعمال (من قبل) مع الفعل المضارع:

في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ٩١] يبين الفرّاء سبب استعمال (من قبل) مع الفعل المضارع الذي يفيد الاستقبال، فيقول: ((يقول القائل: إنّما (تقتلون) للمستقبل فكيف قال (من قبلُ)؟ ونحن لا نجيز في الكلام: أنا أضربُك أمس.

وذلك جائز إذا أردت بـ(تفعلون) الماضي. ألا ترى أنّك تُعَنِّفُ الرجل بما سلف من فعله فتقول: ويحك لِمَ تكذب! لِمَ تُبَغِّضُ نفسك إلى الناس! ومثله قول الله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢] ولم يقل: ما تَلَت الشياطين، وذلك عربيٌ جيد كثير في الكلام... ومثله في الكلام: إذا نظرت في سير عمر رحمه الله لَمْ يُسِئْ، المعنى لم تجدْه أساء. فلمّا كان أمر عمر لا يُشَكُّ في مُضيِّه لم يقع في الوهم أنّه مستقبل، فلذلك صلحت (من قبل) مع قوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ وليس الذين خُوطبوا بالقتل هم القتلة، إنّما قتل الأنبياء أسلافُهم الذين مضوا فتَوَلَّوهم على ذلك ورضوا به فَنُسب إليهم))[2].

---

(١) معاني القرآن ١/٣٠٦-٣٠٧.

(٢) معاني القرآن ١/٦٠-٦١.

❑ (لا يكاد) تستعمل فيما قد فُعِلَ وفيما لَمْ يَفْعل:

في نفي(كاد) خلاف واضطراب في آراء النحاة. يرى قسم منهم أنّ (كاد) إثباتها نَفْيٌ ونفيها إثبات، فإذا قلت: محمد كاد يكتبُ. فمعناه: لم يكتبْ، وإذا قلت: محمدٌ ما كاد يكتُبْ. فمعناه: أنّه كتب بعد جُهْد والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

وقيل: (كاد) إثباتها إثبات، ونفيُها نَفْيٌ، فإذا قلت: زيدٌ كاد يَقْرأ. أثبتَّ المقاربة و لم تثبت الفعل، وإذا قلت: ما كاد يقرأُ. نفيت مقاربة الفعل، أي: لم يقرب الفعل، أي: لم يفعلْه و لم يَقْرُبْ منه[1].

أمّا الفرّاء فقد ذكر أنّ العرب تجعل (لا يكاد) فيما قد فُعل وفيما لم يفعل، قال: ((وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٧] فهو يسيغه. والعرب قد تجعل (لا يكاد) فيما قد فُعِلَ وفيما لم يُفْعَلْ.

فأمّا قد فُعل فهو بَيِّنٌ هنا من ذلك، لأنّ الله عزّ وجل يقول لِمَا جَعَلَه لهم طعاماً: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٥] فهذا أيضاً عذاب في بطونهم يُسيغونه. وأمّا ما دخلت فيه (كاد) و لم يُفعل فقولك في الكلام: ما أتيته ومكا كِدْتُ، وقول الله عزّ وجل في النور: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ [النور: ٤٠] فهذا عندنا -والله أعلم- أنّه لايراها. وقد قال ذلك بعض الفقهاء، لأنها لا تُرى فيما هو دون هذا من الظلمات، وكيف بظلماتٍ قد وُصفت بأشدّ الوصف))[2].

---

(١) ينظر: شرح المفصل ١٢٤/٧-١٢٥، ومعاني النحو ٢٩٧/١-٣٠٢.

(٢) معاني القرآن ٨٤/٣-٨٥.

◻ الجمع بين (ما) المصدريّة و(أنَّ) المفتوحة الهمزة:

تحدث الفرّاء عن سرِّ الجمع بين (ما) المصدريّة و(أنَّ) المفتوحة الهمزة المشدّدة التي تشكّلُ مع ما بعدها مصدرا، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] ((وقد يقول القائل: كيف اجتمعت (ما)، و(أنَّ) وقد يُكتفى بإحداهما من الأخرى؟ وفيه وجهان:

أحدهما: أنّ العرب تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظهما، فمن الأسماء قول الشاعر:

منَ النَّفَرِ اللائي الذين إذا هُمُ يَهابُ اللئامُ حَلْقَةَ الباب قَعْقَعوا

فجمع بين اللائي والذين، وأحدهما مُجزئ من الآخر.

وأمّا في الأدوات فقوله:

ما إنْ رأَيْتُ ولا سَمعتُ به كالْيَومِ طالي أَيْنُق جُرْب

فجمع بين ما، وبين إنْ وهما جَحْدان أحدهما يجزئ من الآخر.

وأمّا الوجه الآخر، فإنّ المعنى لو أفرد بـــ(ما) لكان كانَّ المنطق في نفسه حتى لا كذب، ولم يُرَد به ذلك. إنّما أرادوا أنّه لَحَقٌّ كَما حقٌّ أنّ الآدمي ناطقٌ. ألا ترى أنّ قولك: أحقٌّ منطقك معناه: أحقٌّ هو أم كذب؟ وأنّ قولك: أحقٌّ أنّك تنطق؟ معناه أَن لِلإنسان النطقُ لا لغيره. فأَدْخلت أنّ لِيُفْرَقَ بها بين المعنَيَيْن وهذا أعجب الوجهين إليَّ))[1].

---

(١) معاني القرآن٣/٨٤-٨٥.

❑ المصدر النائب مناب الفعل بين النصب والرفع:

ينوب المصدر عن فعله، ويكون مفعولاً مطلقاً منصوباً، ويحذف الفعل وجوباً، لأن المصدر بدلٌ منه. نحو: صبراً على الشدائد. والجملة حينئذ فعلية.

وقد يؤتى بالمصدر مرفوعاً، ويكون خبراً نائباً عن فعله، والمبتدأ محذوف وجوباً، نحو: صبرٌ على الشدائد. والتقدير عند النحاة: صبري صبرٌ على الشدائد، أو أمري صبرٌ على الشدائد. والمعنى في كلتا الجملتين واحد[1]، وهو الأمر والطاعة غير أنّ الجملة في حالة نصب المصدر تدل على التغيير والحدوث لأنّها فعلية، وفي حالة رفعه تدل على الثبوت.

قال الفرّاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨] ((فإنّه رفع. وهو بمنزلة الأمر في الظاهر؛ كما تقول: مَنْ لَقِي العدوَّ فصبراً واحتساباً. فهذا نصب ورفعه جائز وقوله تبارك وتعالى: «فاتِّباعٌ بالمعروف» رفعٌ ونصبه جائز. وإنّما كان الرفع فيه وجه الكلام؛ لأنّها عامّة فيمن فعلَ ويُراد بها من لم يفعل. فكأنّه قال: فالأمر فيها على هذا، فيرفع. وينصب الفعل إذا كان أمراً عند الشيء يقع ليس بدائم، مثل قولك للرجل: إذا أخَذْت في عملك فجدّا جدّا وسيرا سيرا نصبت، لأنك لم تنوِ به العموم فيصير كالشيء الواجب على من أتاه وفَعَله. ومثله قوله: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥].

ومثله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ومثله في القرآن كثير، رَفْعٌ كلّه؛ لأنّها عامّة. فكأنّه قال: مَنْ فَعَلَ هذا فعليه هذا.

---

(١) ينظر: معاني النحو ٢١٣/١.

وأمّا قوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤] فإنّه حثّهم على القتل إذا لَقُوا العدوَّ، ولم يكن الحثُّ كالشيء الذي يجب بفعلٍ قبله، فلذلك نصب، وهو بمنزلة قولك: إذا لقيتم العدوَّ فتهليلا وتكبيرا، وصدقا عند تلك الوقعة... كأنّه حثٌّ لهم))[1].

□ قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ مستثنى من ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾:

يرى الفرّاء أنّ قوله تعالى: (إلا قليلاً) كونه مستثنى من قوله: (أذاعوا به) أجود من كونه مستثنى من قوله: (لَعلِمه الذين يستنبطونه) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

قال الفرّاء موضحاً السبب في ذلك: ((وقوله ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. قال المفسرون: معناه: لَعلِمه الذين يستنبطونه إلا قليلاً. ويقال: أذاعوا به إلا قليلاً. وهو أجود الوجهين، لأنّ علم السّرايا إذا ظهر عَلِمَه المستنبط وغيره، والإذاعة قد تكون في بعضهم دون بعض. فلذلك استحسنت الاستثناء من الإذاعة))[2].

□ الاستثناء في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧].

قال الفرّاء في معنى هذا الاستثناء: ((يقول القائل: ما هذا الاستثناء وقد وعد الله أهل النار الخلود، وأهل الجنة الخلود؟ ففي ذلك معنيان:

---

(١) معاني القرآن ١/١٩.

(٢) معاني القرآن ١/٢٧٩-٢٨٠.

أحدهما: أن تجعله استثناء يستثنيه ولا يفعله، كقولك: واللهِ لأضربنَّك إلا ان أرى غير ذلك، وعزيمتك على ضربه، فكذلك قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ ولا يشاؤه والله أعلم.

والقول الآخر: أنّ العرب إذا استثنت شيئا كبيرا مع مثله، أو مع ما هو أكبر منه كان معنى (إلا) ومعنى (الواو) سواء، فمن ذلك قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ سوى ما يشاء من زيادة الخلود، فيجعل (إلا) مكان (سوى) فيصلح. وكأنّه قال: خالدين فيها مقدار ما كانت السماوات وكانت الأرض سوى ما زادهم من الخلود والأبد... وهذا أحبُّ الوجهين إليَّ، لأنّ الله عزّ وجل لا خُلْفَ لوعده، فقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] فاستدلَّ على أنَّ الاستثناء لهم بالخلود غير منقطع عنهم))[1].

◻ الفرق بين إضافة اسم الفاعل إلى معموله وتنوينه ونصب مفعوله:

يرى الفراء أنّ اسم الفاعل إذا كان مضافاً إلى معموله فزمانه المضي، وإذا كان منوّناً وانتصب مفعوله فزمنه الاستقبال. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ((ولو نَوَّنت في (ذائقة) ونصبت (الموت) كان صواباً. وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل. فإذا كان معناه ماضياً لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة. فأمّا المستقبل فقولك: أنا صائمٌ يوم الخميس. إذا كان خميساً مستقبلاً. فإنْ أخبرت عن صوم يوم خميس ماضٍ قلت: أنا صائمُ يومِ الخميس فهذا وجه العمل))[2].

---

(١) معاني القرآن ٢/٢٨.

(٢) معاني القرآن ٢/٢٠٢.

❑ تشديد الصفة إذا كان الموصوف جمعاً:

يرى الفرّاء أنّ الصفة تُشَدَّد إذا كان الموصوف جمعاً، لأن الفعل يكون حينئذ متفرِّقاً في جمع. قال الفرّاء: ((وقوله: ﴿فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] يشدَّد ما كان من جمع، مثل قولك: مررت بثيابٍ مُصَبَّغَة، وأكبُشٍ مُذَبَّحة. فجاز التشديد لأنَّ الفعل مُتَفرِّق في جمع. فإذا أفردت الواحد من ذلك فإن كان الفعل يتردّد في الواحد ويكثر فيه جاز فيه التشديد والتخفيف، مثل قولك: مررت برجلٍ مُشجَّج، وثوبٍ ممزَّق، جاز التشديد؛ لأنّ الفعل قد تردّد فيه وكثر. وتقول: مررت بكبشٍ مذبوح، ولا تقل: مُذبَّح، لأن الذبح لا يتردّد كتردّد التمزّق، وقوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥] يجوز فيه التشديد؛ لأن التشييد بناء فهو يتطاول ويتردّد. يُقاس على هذا ما ورد))[1].

❑ دخول الباء على المتعجب منه:

تدخل الباء في فاعل (كفى) فيفيد الفعل التعجب، وتدخل في أفعال غير (كفى) فتدل على معنى التعجب بشرط أن يدلَّ التعجب على المدح أو الذّم.

قال الفرّاء في تفسير قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] ((وكلُّ ما في القرآن» ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ [الإسراء: ١٧، ٦٥] ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾[2] و﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ﴾، فلو ألقيت الباء كان الحرف مرفوعاً، كما قال الشاعر:

وَيُخْبِرُني عَن غائبِ المرءِ هَدْيُهُ ... كَفَى الهَدْيُ عمّا غيّب المرءُ مُخْبِرا

---

(١) معاني القرآن ١/٢٧٧.

(٢) النساء، آية ٦، ومواضع كثيرة. ينظر: المعجم المفهرس ٧٧٩.

وإنّما يجوز دخول الباء في المرفوع إذا كان يُمدح به صاحبُه؛ ألا ترى أنّك تقول: كفاك به وفاك به، وأكرِمْ به رجلاً، وبئس به رجلاً، ونعم به رجلاً، وطاب بطعامك طعاماً، وجاد بثوبك ثوباً. ولو لم يكن مدحاً أو ذمّاً لم يجز دخولها))[1].

□ سبب استعمال (أقبره) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ٢١].

قال الفرّاء مبيناً سبب ذلك: ((ولم يَقُل: فَقبَرَه؛ لأنّ القابر هو الدافن بيده، والمُقْبِر: الله تبارك وتعالى؛ لأنّه صيَّرَه ذا قَبْرٍ، وليس فعلُه كفِعْل الآدمي. والعرب تقول: بَتَرْتُ ذنبَ البعير، والله أبتره، وعضبت قرن الثور والله أعضبه، وطردت فلانا عنّي، والله أطرده صيَّره طريداً))[2].

□ استعمال الغداة أو الضحى مع العشيّة

بين الفرّاء معنى استعمال (الغداة) مع العشيّة أو الضحى في تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، فقال: ((يقول القائل: وهل للعشيِّ ضُحا؟ إنّما الضحا لصدر النهار، فهذا بيّنٌ ظاهر من كلام العرب أن يقولوا: آتيك العشيّة أو غداتها، وآتيك الغداة أو عشيتها. تكون العشيّة في معنى: آخِر، والغداة في معنى أوّل، أنشدني بعض بني عقيل:

نحنُ صَبَّحْنا عامراً في دارِها عشيَّةَ الهلالِ أو سرارها

أرادَ: عشيَّة الهلال، أو عشيَّة سرار العشيَّة، فهذا أسدُّ من آتيك الغداةَ، أو عشيّتها))[3].

---

(١) معاني القرآن ١١٩/٢.

(٢) معاني القرآن ٢٣٧/٣.

(٣) معاني القرآن ٢٣٤/٣-٢٣٥.

❑ تقديم (التكذيب) على (العقر) في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤]

تحدَّث الفرّاء عن معنى تقديم (التكذيب) على (العقر) في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾، فقال: ((يقول القائل: كيف كذَّبوه فعقروها؟ ونرى أنّ الكلام فعقروها فكذّبوه، فيكون التكذيب بعد العقر. وقد يكون على ما ظنَّ، لأنك تقول: قتلوا رسولهم فكذَّبوه، أي: كفى بالقتل تكذيباً، فهذا وجه، ويكون فكذَّبوه كلمةً مُكْتَفى بها، ويكون قوله: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ جواباً لقوله: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾، فعقروها... ويكون مقدّماً ومؤخراً، لأنّ العقر وقع بالتّكذيب. وإذا وقع الفعلان معاً جاز تقديم أيّهما شئت. من ذلك: أعطيت فأحسنت، وإن قلت: أحسنت فأعطيت كان بذلك المعنى، لأن الإعطاء هو الإحسان والإحسان هو الإعطاء، كذلك العقر: هو التكذيب. فقدَّمتَ ما شئت وأخَّرتَ الآخر))[1].

❑ حذف الفاء والواو في جواب الاستفهام:

يُحذف الفاء والواو في جواب الاستفهام، لاستغناء أوّله عن آخره لحسن الوقف عليه، ويكون ذلك في رؤوس الآيات، لأنّها فصول في الآيات، وليس كلاماً متّصلاً.

قال الفرّاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]: ((وهذا في القرآن كثيرٌ بغير الفاء، وذلك لأنّه جوابٌ يَستغني أوّلُه عن آخره بالوَقْفَة عليه، فيقال: ماذا قال لك؟ فيقول:

---

(١) معاني القرآن ٣/٢٦٩.

قال كذا وكذا؛ فكأنَّ حُسْنَ السّكوتِ يجوز به طرحُ الفاء. وأنت تراه في رؤوس الآيات -لأنّها فصولٌ- حَسَناً؛ من ذلك: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾ [الذاريات: ٣١-٣٢] والفاء حَسَنة مِثل قوله: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [هود: ٢٧] ولو كان على كلمة واحدة لم تُسْقط العرب منه الفاء. من ذلك: قُمْتُ ففَعَلْتُ، لا يقولون: قُمْتُ فَعَلْتُ، ولا قُلْتُ قال، حتى يقولوا: قُلْتُ فَقال، وقُمْتُ فَقام؛ لأنّها نَسَقٌ وليست باستفهام يُوقف عليه؛ ألا ترى أنّه (قال) فرعون: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٥-٢٦] فيما لا أُحصيه. ومثله من غير الفعل كثيرٌ في كتاب الله بالواو وبغير الواو؛ فأمّا الذي بالواو فقوله: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥] ثمَّ قال بعد ذلك: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] وقال في موضع آخر: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقال في غير هذا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ١٠] ثمَّ قال في الآية بعدها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البروج: ١١] ولم يَقُل: وإنَّ. فاعْرف مِمَّا جرى تفسيرَ ما بقي، فإنّه لايأتي إلا على الذي أنْبأتُك به من الفصول أو الكلام المُكتفى يأتي له جوابٌ))[1].

---

(١) معاني القرآن ١/٤٣-٤٤.

❑ حذف جواب أمّا الشرطيَّة:

(أمّا) حرف يفيد الشرط والتفصيل والتوكيد، أي: تفصيل الجمع. وأُنيب عن جملة الشرط وحرفه فاستحقَّ بذلك جواباً، وجوابه جملة يلزمها الفاء[1].

وقد ذكر الفرّاء حذف الفاء إذا حُذف الجواب الواقعة فيه، فقال: ((وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦] يُقال: (أمّا) لا بدَّ لها من الفاء جواباً فأين هي؟ فيقال: إنّها كانت مع قولٍ مضمر، فلمّا سقط القول سقطت الفاء معه، والمعنى -والله أعلم- فأمّا الذين اسودّت وجوههم فيقال: أكفرتم، فسقطت الفاء مع (يقال). والقول قد يُضمر. ومنه في كتاب الله شيء كثير))[2].

❑ ترك جواب القسم:

ذكر الفرّاء أنّ جواب القسم قد يُترك ذكرُه لمعرفة السّامعين به وظهور معناه، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [النازعات: ١]: ((ويسأل السّائل: أين جواب القسم في النازعات؟ فهو ممّا تُرِك جوابه لمعرفة السّامعين، المعنى وكأنّه لو ظهر كان: لَتُبْعَثُنَّ، وَلَتُحاسَبُنَّ، ويدلُّ على ذلك قولهم: إذا كُنّا عظاماً ناخرة. ألا ترى أنّه كالجواب لقوله: لَتُبْعَثُنَّ إذ قالوا: إذا كنّا عظاما نَاخِرة[3] نُبْعَث))[4].

---

(١) ينظر: الكليات- للكفوي ص١٨٣.

(٢) معاني القرآن ١/٢٢٨-٢٢٩.

(٣) قراءة نافع وبن عامر والكسائي بغير استفهام.

(٤) معاني القرآن ٣/٢٣١.

□ حذف الكلام لبيان معناه:

قد يُحذف الكلام أو جزؤه إذا دلّ عليه دليل. قال الفرّاء: ((وقوله: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧] ولم يقل: قال: الذي لم يُتَقَبَّل منه (لأقتُلَنَّك) لأنّ المعنى يدلُّ على أنَّ الذي لم يُتَقَبَّل منه هو القائل لحَسَده لأخيه: لأقْتُلَنَّك. ومثله في الكلام أن تقول: إذا اجتمع السفيه والحليم حُمِدَ، تَنْوي بالحمد الحليم، وإذا رأيت الظالمَ والمظلوم أَعَنْت، وأنت تنوي أَعَنْت المظلوم للمعنى الذي لا يشكل))[1].

- أبو عبيدة:

هو معمر بن المثنى التَّيميّ بالولاء، وهو أحد علماء البصرة المشهورين في اللغة والنحو والشعر. فضلاً عن علمه بالغريب والمعاني، والأخبار والنَّسَب[2].

أخذ علوم اللغة والشعر عن أبي عمرو بن العلاء، وعن عيسى بن عمر الثقفي[3]. ولازم يونس بن حبيب طويلاً، وأخذ أيضاً عن غيرهم[4].

له مؤلفات عديدة ذكر بعضهم أنّها تقرب من المئتين، ولكن لم تصل إلينا[5].

وأهم مؤلفاته التي وصلت إلينا كتاب (مجاز القرآن) الذي استخلصنا منه نماذج من التفسير البياني عند أبي عبيدة من توجيهه أو تفسيره للآيات القرآنية.

---

(١) المصدر نفسه ١/٣٠٥.

(٢) ينظر: أخبار النحويين البصريين- للسيرافي ص٨١، ٨٠، ٦٧.

(٣) المصدر نفسه ص٦٧.

(٤) ينظر: المزهر في علوم اللغة- للسيوطي ٢/٤٠١-٤٠٢.

(٥) ينظر: وفيات الأعيان- لابن خلكان ١/٦٢٠.

ويعدُّ كتاب (مجاز القرآن) أول مصنَّف لأهل اللغة في بيان معاني القرآن. فقد تناول أبو عبيدة آي الذكر الحكيم في السور على وفق ترتيبها في الكتاب الكريم، وعرض لِما في السورة من آي بها حاجة لبيان المراد منها فيفسرها[1].

إنَّ كلمة (مجاز القرآن) عند أبي عبيدة لا تعني مصطلح (المجاز) المتعارف عليه عند علماء البلاغة؛ بل هي أعمُّ منه. لأنّها تعني: التفسير، وبيان الدلالة الدقيقة لصيغ التعبيرات القرآنية المختلفة، أو الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته[2].

وقد اختلف في وفاته، فقيل: سنة (٢٠٨هـ) ثمان ومئتين، وقيل: سنة (٢٠٩هـ) تسع ومئتين[3].

نماذج من التفسير البياني عند أبي عبيدة:

سأذكر فيما يأتي طائفة من مجازاته، وقل إن شئتَ من تفسيراته وتوجيهاته، وهو يُبَينُ فيها المعنى البياني.

❑ (لا) الزائدة لتوكيد النفي:

من أنواع (لا) أنّها تكون زائدة عند النحاة إذا اقترنت بحرف العطف، لأنها إذا سقطت بقي معنى النفي. قال أبو عبيدة وهو يفسِّر قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]: ((مجازها: غير المغضوب عليهم والضّالين، و(لا) من حروف الزوائد لِتَتْميم الكلام، والمعنى إلقاؤها.....» ولا الضّالين: (لا) تأكيد، لأنّه نَفْيٌ، فأُدْخِلت (لا) لتوكيد النفي، تقول: جئت

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون- للذهبي ١/١٤٣.

(٢) ينظر: دراسة المحقق لكتاب المجاز ١/١٩.

(٣) ينظر: أخبار النحويين البصريين ص٨٣.

بلا خَيْرٍ ولا بركة، وليس عندك نفعٌ ولا دفعٌ))[1].

والصحيح أنّ المعنى في حالة ذكرها يختلف عنه في حالة إسقاطها، فقولك: ما سافر عليٌّ ولا زيدٌ، معناه غير معنى: ما سافر عليٌّ وزيدٌ. فإذا أسقطتها يحتمل المعنى نَفْي سفرهما على كلّ حال مجتمعَين أو متفرقَين، ويحتمل المعنى أيضاً أنّهما لم يسافرا مجتمعين؛ بل سافر كلٌّ منهما على انفراد، فإذا ذكرت (لا) صار الكلام نصّاً في نَفْي سَفَر كلّ منهما على كلّ حال[2].

وقال ابن القيّم رحمه الله في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: إنّ المراد من زيادة (لا) هو ((المغايرة الواقعة بين النوعين وبين كلِّ نوع بمفرده، فلو لم يذكر (لا) وقيل: (غير المغضوب عليهم والضّالين) أوْهَمَ أنّ المراد ما غاير المجموع المركب من النوعين لا ما غاير كلّ نوع بمفرده، فإذا قيل (ولا الضّالين) كان صريحاً في أنّ المراد صراط غير هؤلاء وغير هؤلاء، وبيان ذلك أنّك إذا قلت: ما قام زيد وعمرو. فإنّما نفيت القيام عنهما ولا يلزم من ذلك نفيه عن كلّ واحد منهما بمفرده))[3].

❑ إدخال (ألا) في الكلام:

يذكر النحاة أنّ (ألا) حرف يرد لثلاثة معان[4]:

الأول: استفتاح الكلام وتنبيه المخاطب. وهي تدخل على الجملة الاسمية والفعلية. وعلامتها صحة الكلام دونها.

---

(١) مجاز القرآن: ١/٢٥-٢٦.

(٢) ينظر: مغني اللبيب ١/٢٤٥، ومعاني النحو ٤/٥٨٤.

(٣) بدائع الفوائد: ٢/٣٤-٣٥.

(٤) ينظر: الجنى الداني- للمرادي ص٣٧٢-٣٧٣.

الثاني: العرض، وهذه مختصة بالأفعال، نحو ألا تنزل عندنا فتحدثَ.

الثالث: الجواب، كقول القائل: ألم تقم؟ فتول: ألا. فتكون حرف جواب بمعنى: بل.

وذكر أبو عبيدة أنّ (ألا) عندما تدخل على الجملة تفيد معنى التوكيد والإيجاب والتنبيه. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨]: ((ألا، توكيد، وإيجاب، ونفيٌ))[١].

وقال في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]: ((مجازه: لعنة الله، و(ألا) إيجاب، وتوكيد، ونفي))[٢].

◻ مجيء (ما) بعد حروف الجرِّ:

تزاد (ما) بعد طائفة من حروف الجر، وهي: (من) و(عن) و(الباء) و(ربّ) و(الكاف)، ولا تكفُّ عملها، أي: يبقى لها عملها، وهو الجرُّ.

وقد ذكر أبو عبيدة معنى زيادتها في الكلام، وهو يفسّر قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥] فقال: ((فَبنَقْضهم. والعرب تستعمل (ما) في كلامها توكيداً. وإن كان الذي قبلها بجَرٍّ جرَرْتَ الاسم الذي بعدها، وإن كان مرفوعاً رفعت الاسم، وإن كان منصوباً نصبت الاسم))[٣].

◻ (إلا) المكسورة الهمزة المشدّدة بمعنى الواو:

ذهب أبو عبيدة إلى أنّ (إلا) المكسورة الهمزة المشدّدة تأتي بمعنى الواو،

---

(١) مجاز القرآن ١/٢٨٥.

(٢) مجاز القرآن ١/٢٨٦.

(٣) مجاز القرآن ١/١٥٧.

ولا تكون للاستثناء، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]: ((موضع (إلا) ههنا ليس بموضع استثناء، إنّما هو موضع واو الموالاة، ومجازها: لِئلاّ يكون للناس عليكم حجة، وللّذين ظلموا)).

وهذا أيضاً ما قال به الفراء والأخفش[١].

❑ (يُفاعِلُ) بمعنى (يَفْعَلُ):

قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٩]: ((يُخادِعون في معنى يَخْدَعون، ومعناها: يُظْهِرون غير ما في أنفسهم، ولا يكاد يجيء (يُفاعِلُ) إلا من اثنين إلا في حروف هذا أحدها))[٢].

❑ الفعل (أُهِلَّ) لهُ معنيان:

يرى أبو عبيدة أنّ (أُهِلَّ به) له معنيان، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]: ((﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾، أي: وما أُريد به، وله مجاز آخر: ما ذُكِر عليه من أسماء آلهتهم، ولم يُرَد به الله عزّ وجل))[٣].

❑ الفعل (أُخْفي) من الأضداد:

ذكر أبو عبيدة أنّ الفعل (أُخْفي) من الأضداد، بمعنى: الكتمان والإظهار. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥]: ((﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ له موضعان، موضع كتمان، وموضع إظهار كسائر

---

(١) ينظر: الجنى الداني ص٤٧٩، والبحر المحيط ٤٤٢/١، ومغني اللبيب ٧٦/١.

(٢) مجاز القرآن ٣١/١، ٢٥٦.

(٣) مجاز القرآن ٦٤/١.

حروف الأضداد. أنشدني أبو الخطاب قول امرئ القيس بن عابس الكندي عن أهله في بلده:

وإنْ تَدْفِنوا الدّاءَ لا نُخْفيه وَإنْ تَبْعَثوا الحَرْبَ لا نَقْعُدُ

أي: لا نُظْهِره. ومن يُلْغي الألف منها في هذا المعنى أكثر... يُقال: خَفَيت مَلّتي من النار، أي: أخرجتها منها، وكذلك خفايا الرّكايا، تقول: خَفَيت ركّيةً، أي: استخرجتها))[1].

❑ (ذَأَمَ) أشدُّ مبالغة من (ذَمَّ) ومن (ذِمْتُ):

قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨]: ((وهي من ذَأَمْت الرّجلَ، وهي أشدُّ مبالغة من (ذَممت) ومن (ذِمْت) الرّجلَ تَذِيمُ، وقالوا في المثل: لا تعدم الحسناء ذامّا، أي: ذَمّا، وهي لغات))[2].

❑ عَوْدُ الضمير مفرداً على الاثنين:

ذكر أبو عبيدة أنّه قد يعود الضمير مفرداً على الإثنين استغناءً وتخفيفا لمعرفة السامع بأنّ الآخر مشاركٌ وداخلٌ معه. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]: ((صار الخبر عن أحدهما، ولم يقل: (ولا يُنْفِقُونهما). والعرب تفعلُ ذلك، إذا أشركوا بين اثنين قَصَروا فَخَبَّروا عن أحدهما استغناءً وتخفيفاً لمعرفة السّامع بأنّ الآخر شاركه ودخل معه، قال:

---

(١) مجاز القرآن ٢/١٦-١٧.

(٢) مجاز القرآن ١/٢١١.

فَمَنْ يَكُ أمسى بالمدينة رحلُهُ فَـإنّي وقَيّـارٌ بهـا لَغَريـبُ

وقال:

نَحْنُ بما عنـدَنا وأنـت بمـا عندك راضٍ والرأيُ مختلفٌ))[1]

❑ رفع (السّارق والسّارقة) وجمع (أيديهما):

تعرَّض أبو عبيدة إلى معنى رفع (السّارق والسّارقة) وجمع (أيدي) وهي تعود على اثنين في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] فقال: ((وهما مرفوعان كأنّما خرجا مخرج قولك: وفي القرآنِ السّارقُ والسّارقةُ، وفي الفريضةِ السّارقُ والسّارقةُ جزاؤهما أن تُقْطع أيديهما فاقْطَعوا أيديهما؛ فعلى هذا رُفِعا أو نحو هذا، ولم يجعلوهما في موضع الإغراء فينصبوهما، والعرب تقول: الصَّيدُ عندك، رفعٌ وهو في موضع إغراء فكأنّما قال: أمكنك الصَّيدُ عندك فألزمه... ونصبهما عيسى بن عمر، ومجاز (أيديهما) مجاز(يدَيْهما) وتفعل هذا العرب فيما كان من الجسد فيجعلون الاثنين في لفظ الجمع))[2].

❑ النصب عطفا على الجوار:

يوجه أبو عبيدة نَصْبَ (فريقا) الثانية في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩-٣٠] عطفاً على الجوار، فقال: ((ونَصْبهما جميعا على إعمال الفعل فيهما، أي: هدى فريقا، ثمَّ أشرك الآخر في نصب الأول وإن لم يدخل في معناه؛ والعرب تُدخل الآخر

---

(١) مجاز القرآن ١/٢٥٧-٢٥٨.

(٢) مجاز القرآن ١/١٦٥-١٦٦.

المُشْرَك بنصب ما قبله على الجوار وإن لم يكن في معناه، وفي آية أخرى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١]))[1].

والمفسرون يرون أنّ (فريقاً) الثانية منصوب بفعل مضمر تقديره: وأضلّ فريقا أو أنّ (فريقاً) في الموضعين حال من فاعل (يعودون) وجملة (هدى) صفة لـــ(فريقاً) الأولى، وقوله: (حقَّ عليهم) صفة للثانية[2].

❑ إعادة التوكيد بلفظ غير المؤكد:

قال أبو عبيدة في توجيه مجيء (كاملة) توكيداً لتمام العشرة في قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٦]: ((العرب تؤكد الشيء وقد فُرغ منه فتعيده بلفظ غيره تفهيما وتوكيداً))[3].

❑ تذكير (قريب) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وجَّه أبو عبيدة سبب تذكير (قريب) في الآية المذكورة آنفاً بقوله: ((هذا موضع يكون في المؤنثة واثنتين والجميع منها بلفظ واحد ولا يدخلون فيها الهاء، لأنه ليس بصفة، ولكنه ظرف لهنَّ وموضع. والعرب تفعل ذلك في (قريب) و(بعيد)، قال:

---

(١) مجاز القرآن ٢١٣/١.

(٢) ينظر: إعراب القرآن- للنحاس ص٣٤٠، التبيان في إعراب القرآن- للعكبري- ٤٧٣/١، والدر المصون- للسمين الحلبي ٢٥٩/٣.

(٣) مجاز القرآن ٧٠/١.

فَإنْ تَمْسَ ابنة الـسَّهْمي منّـا بعيـدا لا نُكَلِّمهـا كلامـا

وقال الشّنفرى:

تُؤرقُني وَقد أَمْسَت بعيدا وأَصْـحابي بِعَـيّهم أو تَبَالـة

فَإذا جعلوها صفةً في معنى: مقتربة، قالوا: هي قريبة، وهما قريبتان، وهنَّ قريبات))[1].

□ تذكير (من الغابرين) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣].

بيّن أبو عبيدة سبب مجيء (من الغابرين) مذكراً، وهي من صفة امرأة لوط عليه السلام، فقال: ((وقال (من الغابرين)، لأنَّ صفة النساء مع صفة الرّجال تُذَكّر إذا أُشْرك بينهما))[2] أي: تغليب المذكّر.

□ استعمال (عِوَجا) بكَسْر العين:

تكلم أبو عبيدة على سبب استعمال (عِوجا) بِكَسْر العين في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦]، وبين أنّ (عِوجا) بكسر العين تُسْتعمل في الأمور المعنوية. أمّا بفتح العين فتستعمل بالأمور المادية، قال: ((«تبغونها عِوجا» مكسورة الأول، لأنّه في الدين، وكذلك في الكلام والعمل. فَإذا كان في شيء قائم، نحو الحائط والجذع، فهو (عَوَج) مفتوح الأول))[3].

---

(١) مجاز القرآن ١/٢١٦.

(٢) مجاز القرآن ١/٢٣٠.

(٣) مجاز القرآن ١/٩٨، ٢١٩، ٢٢٠.

❑ استعمال (الحريق) بدلا من (النار):

ذكر سبب إيثار كلمة (الحريق) على كلمة (النار) في قوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١] فقال: ((النار اسم جامع، تكون ناراً، وهي حريق وغير حريق، فإذا التهبت فهي حريق))[١].

❑ مجيء (الآفلين) جمع مذكر سالماً:

تحدث أبو عبيدة عن مجيء (الآفلين) جمع مذكر سالماً في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] وبين أنّه إنّما جاء على هذه الصورة؛ لأنه لم يقصد الأشياء الجامدة، كالشّمس والقمر والنجوم، وإنما قَصَد غير ذلك من الأرباب، قال: ((«لا أُحِب الآفلين» من الأشياء، ولم يقصد الشمس والقمر والنجوم فيجمعها على جمع الموات))[٢].

❑ استعمال (فَرِيّا):

يبين أبو عبيدة سبب إيثار لفظ (فَرِيّا) على غيره من ألفاظ العجب في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧] فيقول: ((«شيئاً فَرِيّا» أي: عجباً فائقاً، وكذلك كلُّ شيء فائق من عجب أو عمل أو جَرْي فهو فَرِيٌّ))[٣].

---

(١) مجاز القرآن ١/١١٠.

(٢) مجاز القرآن ١/٢٠٠.

(٣) مجاز القرآن ٢/٧.

❑ الحذف اختصاراً:

قد يُحذف بعض الكلم اختصاراً لعلم المخاطب به، وبعكسه لا يجوز الحذف. وممّا وجهه أبو عبيدة على وفق ذلك، قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

فقال: ((العرب تختصر لعلم المخاطب بما أُريد به فكأنّه خرج مخرج قولك: فَأمّا الذين كفروا فيقول لهم: أكَفرتم؟ فحذف هذا واختصر الكلام... وقال النابغة:

كَأَنَّك من جمالِ بَني أُقَيشٍ يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيه بِشَنِّ

بَني أُقَيش: حَيٌّ من الجنِّ، أراد: كأنّك جَمَلٌ يُقَعْقَعُ خَلْفَ رجليه بِشَنٍّ. فألقى الجمل، فَفُهم منه ما أراد))[1].

❑ زيادة (إنّ):

وجّه أبو عبيدة بزيادة (إنّ) الثانية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الحج: ١٧] فقال: ((مجازُه: الله يفصل بينهم، و(إنّ) من حروف الزوائد ويرى الزمخشري أنّها أُدْخلت لزيادة التوكيد[2].

❑ الإخبار بلفظ الواحد عن الأثنين المشتركين في الحكم الداخلين في المعنى:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ: ٣٧] قال: ((مجاز (زُلْفى) بما يقع على الجميع وعلى الواحد

---

(١) مجاز القرآن ١/٤٧، ١٠٠-١٠١.

(٢) الكشاف ٣/١٤٥.

سواء. و(زُلفى): قُرْبى، ومجازه مجاز المُشْرَكَيْنِ يُخبر عن أحدهما بلفظ الواحد منهما ويُكَفُّ عن الآخر وقد دخل معه في المعنى، فمجازها: وما أموالكم بالتي تُقَربكم إلينا زُلفى ولا أولادكم أيضاً. فالخبر بلفظ أحدهما وقد دخل معه في المعنى ولو جمع خبرهما لكان مجازه: وما أموالكم ولا أولادكم بالذين يُقَربونكم عندنا زُلفى، لأنّ العرب إذا أشركوا بين الآدميين والموات غلب تقدّم فعل الآدميين على فعل الموات))[1].

❑ خروج الخبر مخرج الاستفهام:

يرى أبو عبيدة أنّ الخبر يخرج مخرج الاستفهام في ثلاثة مواضع. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] قال: ((هذا كلام هو إخبار، خرج مخرج الاستفهام، وليس هذا إلا في ثلاثة مواضع، هذا أحدها، والثاني: ما أُبالي أقبلت أم أدبرت، والثالث: ما أدري أَوَلّيتَ ام جاء فلانٌ))[2]. أي: أنّ الهمزة هنا همزة التسوية، وهمزة التسوية لا يُراد بها الاستفهام الحقيقي؛ بل هي وما بعدها على معنى الخبر لا الإنشاء. فهي لا تستحق جواباً ((لأن المعنى معها ليس على الاستفهام، وأنّ الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب لأنه خبر))[3].

❑ خروج الاستفهام إلى الإيجاب والتقرير:

ذكر أبو عبيدة أنّ الاستفهام قد يخرج إلى معنى الإيجاب والتقرير، وهو إثبات المستفهم عنه، لأن التقرير هو ((حملك المخاطب على الإقرار

---

(١) مجاز القرآن ١٤٩/٢-١٥٠.

(٢) مجاز القرآن ٣١/١.

(٣) مغني اللبيب ٤١/١.

والاعتراف بأمرٍ قد استقرَّ ثبوته أو نفيه))[1]. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]: ((جاء على لفظ الاستفهام والملائكة لم تستفهم ربَّها، وقد قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ولكن معناها الإيجاب: أي: إنّك ستفعل.

وقال جرير:

أَلَسْتُم خَيْرَ من رَكَبَ المطايا وأَنْدَى العامين بُطون راحِ

وتقول وأنت تضرب الغلام على الذّنب: ألَستَ الفاعل كذا؟ ليس باستفهام، ولكن تقرير))[2].

❑ خروج الاستفهام ليفيد التفهيم والتحذير والتهديد:

قال في الاستفهام الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦]: ((هذا باب تفهيم، وليس باستفهام عن جهل ليعلمه، وهو يخرج مخرج الاستفهام، وإنّما يراد به النهي عن ذلك ويتهدّد به، وقد علم قائله أكان ذلك أم لم يكن، ويقول الرّجل لعبده: أفَعَلت كذا؟ وهو يعلم أنّه لم يفعله ولكن يحذره))[3].

❑ تغليب فعل الذّكر على فعل الأنثى:

وجّه تذكير (إلهين) في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ وقد اشترك فيهما عيسى وأمّه عليهما السلام، قائلاً: ((إذا أشركوا فِعْلَ ذكر مع فِعْل أنثى

---

(١) المصدر نفسه ١/١٨.

(٢) مجاز القرآن ١/٣٥، ٦٣.

(٣) المصدر نفسه ١/١٨٣-١٨٤.

غُلِّب فعل الذكر وذكَّروهما))[1].

□ الأخفش الأوسط[2]:

هو أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدَة المُجَاشِعيّ البَلْخِيّ البصريّ. وشُهر بـــ(الأخفش الأوسط) من الأخافشة المشهورين، الأخفش الأكبر أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، أحد شيوخ سيبويه، والأخفش الأصغر علي بن سليمان البغداديّ من تلامذة المبرد وثعلب.

أخذ الأخفش الأوسط عن سيبويه، وهو أسنُّ منه، وأحذق أصحابه، وتوفي بعده، وعن عيسى بن عمر الثقفي، ويونس بن حبيب، وأبي زيد الأنصاري، وأبي مالك النميري الأعرابي. ويُعَدُّ الأخفش من أكبر أئمة النحويين البصريين بعد سيبويه. وقد اختلف في سنة وفاته، قيل: إنّها سنة ٢١٠هـــ، أو ٢١١هـــ، وقيل: سنة ٢١٥هـــ، وقيل: سنة ٢٢١هـــ.

وله عدة مصنفات لم تصل إلينا. وأهم ما وصل إلينا من مؤلفاته سفره الكبير (معاني القرآن). وهو الذي سنقف عنده مستخلصين نماذج من تفسيره البياني لقسم من آي الذكر الحكيم.

ويُعد معاني القرآن للأخفش من أوائل التفاسير اللغوية بعد مجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن لقطرب بن المستنير الذي لم يصل إلينا. وقال عنه

---

(١) المصدر نفسه ١/١٨٤.

(٢) ينظر في ترجمته: طبقات النحويين البصريين- للسيرافي ص٦٦-٦٧، طبقات النحويين واللغويين- للزبيدي ص٧٢-٧٣، إنباه الرواة- للقفطي ٢/١٥٧-١٥٨، بغية الوعاة- للسيوطي ١/٥٩، المزهر في علوم اللغة- للسيوطي ٢/٤٥٣-٤٥٤، ودراسة محقق كتابه معاني القرآن ١/١٣، وما بعدها.

محققه الدكتور فائز فارس: ((أمّا كتاب الأخفش فيمكن أن نعدّه أقدم مصنف وصل إلى عصرنا جامعا بين دفّتيه دراسة لغويّة شاملة))[1].

نماذج من التفسير البياني عند الأخفش:

❑ نَصْبُ الفعل المضارع، ورفعُه بعد (أن) المخفّفة المتلوَّة بـــ(لا) النافية:

يأتي الفعل المضارع بعد (أن) المخفّفة المتلوة بـــ(لا) النافية مرفوعاً أو منصوباً، فإذا جاء بعدها الفعل المضارع مرفوعاً فهي (أن) المخفَّفة من (أنَّ) المشدّدة، وإذا جاء بعدها الفعل منصوباً فهي (أن) المختصّة بالأفعال الناصبة لها.

وذكر الأخفش أنّ هناك خلافاً معنوياً بينهما، وهو أنّ (أن) المخفّفة من الثقيلة للواجب الثابت وقوعه، بخلاف الناصبة للفعل المضارع فإنّها لا تفيد ذلك، قال الأخفش: ((﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ [آل عمران: ٤١] نصبٌ، لأن هذا ليس في معنى المثقَّل، إنّما هو: آيتك ألاّ تكلِّمَ، كما تقول: آيتك أن تكلّم، وأدخلت (لا) للمعنى الذي أُريد من النفي، ولو رفعت هذا جاز على معنى: آيتُك انّك لا تُكلمُ، ولو نصب الآخر جاز على (أن) الخفيفة التي تعمل في الأفعال.

ومثل ذلك ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] وقال: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٥] وقال: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

وتقول: علِمتُ أنّ لا تُكْرِمُني، و: حسِبتُ أن لا تُكْرِمُني، فهذا مثل ما ذكرت لك، فإنما صار (علِمتُ) و(اسْتَيقَنْتُ) ما بعده رفع لأنه واجب، فما كان واجباً لم يحسن أن يكون بعده (أن) التي تعمل في الأفعال، لأن تلك إنما

---

(١) معاني القرآن- للأخفش ١/٥٥.

تكون في غير الواجب، ألا ترى أنك تقول: أُريدُ أَن تأتيَني، فلا يكون هذا إلا لأمر لم يقع، وارتفع ما بعد الظن وما أشبَهَه لأنه مشاكل للعلم، لأنه يعلَمُ بعض الشيء إذا كان يظنُّه.

وأما خَشِيتُ أَن لا تُكْرِمَني، فهذا لم يقع، ففي مثل هذا تعمل (أن) الخفيفة، ولو رفعته على أمرٍ قد استقرّ عندك وعرفته كأنك جربته فكان لا يكرمك، فقلت: خَشِيتُ أن لا تُكْرِمُني، أي خَشِيتُ أنك لا تُكرِمُني، جاز))[1].

❑ (لمّا يَفعل) للباري عزّ وجلّ معناه (فَعَلَ):

(لما) حرف مختص بنفي الفعل المضارع ويقلب زمنه ماضياً، وأن منفيها لا يكون إلا قريباً من الحال، فهي لنفي (قد فعل) فإذا قلت: قد قام. فأن نفيه: لما يقم[2]. ويكون النفي بها مستمراً إلى حين التكلم، فإذا قلنا: لّما يقم زيدٌ. فأن معناه أنه إلى الآن أي إلى زمن التكلم لم يقم، ويحتمل أنه يقوم بعد ذلك[3].

ويرى الأخفش أن الفعل المضارع إذا جاء بعد (لما) والحديث عن الله سبحانه وتعالى فيكون (لما يعلم) معناه (عَلِمَ)، قال: ((فإن قال قائلٌ (وَلَما يعلم اللهُ الصابرين)، قلت: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

فهو لم يعلمهم، بل قد علِمَ، ولكن هذا فيما يذكر أهل التأويل ليبين للناس كأنه قال: ليعلمه الناس، كما قال: ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢]، وهو قد علم، ولكن ليبين ذلك))[4].

---

(١) معاني القرآن ١/١٢٢.

(٢) الكتاب- سيبويه ٣/١١٧.

(٣) ينظر: مغني اللبيب ١/٢٧٨.

(٤) معاني القرآن ١/ ٦٣.

❑ رفع (لا فارض ولا بكر):

تحدث الاخفش عن رفع (فارض) و(بكر) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ﴾ [البقرة: ٦٨]، وبين معنى ذلك وسببه، فقال: ((وأما قوله: «أنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان» فارتفع ولم يَصِرْ نصبا كما ينتصب النفي، لأن هذه صفة في المعنى للبقرة والنفي المنصوب لا يكون صفة من صفتها، إنما هو اسم مبتدأ وخبره مضمر، وهذا مثل قولك: عَبْدُ الله لا قائمٌ ولا قاعدٌ، أدخلت (لا) للمعنى، وتركت الإعراب على حاله لو لم يكن فيه (لا)))[1].

❑ نصب (خيراً) في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].

وجه الأخفش نصب (خيراً) في هذه الآية بفعل مضمر، تقديره: (اعملوا)، فقال: ((فنصب (خيراً لكم)، لأنه حين قالَ لهم: (آمنوا)، أمرهم بما هو خيرٌ لهم، فكأنه قال: (اعملوا خيراً لكم)، وكذلك: ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، فهذا إنما يكون في الأمر والنهي خاصة، ولا يكون في الخبر لأن الأمر والنهي لا يضمر فيهما، وكأنك أخرجته من شيء إلى شيء... وقد سمعت نصب هذا في الخبر، تقول العرب: آتِي البيت خيراً لي، وأترُكُه خيراً لي، وهو على ما فسرت في الأمر والنهي))[2].

❑ نصب (شيباً) على المصدرية:

وجَّه الاخفش نصب (شيباً) في قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] على المصدرية، مفعولا مطلقاً، وليس على التمييز، لأن (اشتعل)

---

(١) معاني القرآن ١٠٣/١.

(٢) معاني القرآن ٢٤٩/١.

بمعنى شابَ، فقال: ((وقال (شيباً)، لأنه مصدرٌ في المعنى، كأنه حين قال: (اشتعل)، قال: (شابَ)، فقال: (شيباً) على المصدر، وليس هو مثل: تَفَقّأتُ شَحماً، وامتلأتْ ماءً؛ لأن ذلك ليس بمصدر))[1].

❑ انتصاب (متاعاً) في قوله تعالى: ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

يعرب الأخفش (متاعاً) في الآية الكريمة مفعولاً مطلقاً مؤكداً لمضمون الجملة التي سبقته، وهي: (وصيةٌ لأزواجهم)، قال: ((وصيةٌ لأزواجهم)) كأنّه: لأزواجهم وصيةٌ متاعاً إلى الحول، ونصب (متاعا) لأنه حين قال: لأزواجهم وصية، فكأنه قد قال: فمتعوهنَّ متاعاً، فعلى هذا انتصب قوله: (متاعاً إلى الحول غير إخراج) يقول: لا إخراجاً، أي: متاعاً لا إخراجاً))[2].

❑ خروج بعض أسماء الزمان عن الظرفية:

ظرف الزمان على قسمين، متصرف وغير متصرف، فالمتصرف هو الذي لايلازم النصب على الظرفية، أي: يقع ظرفاً وغير ظرف، نحو: سافرت يومَ الجمعة. ويومُ الجمعة يومٌ مبارك. وغير المتصرف هو الذي يلازم النصب على الظرفية أو شبهها، وهو الجرُّ. وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله[3]:

وما يُرَى ظَرفاً وَغَيرَ ظَرْفِ ... فَذَاكَ ذو تَصَرُّف في العُرْفِ
وغَيْرُ ذي التّصَرُّف الذي لَزِم ... ظَرْفيّةً أو شِبْهَها من الكلِم

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٤٠١.

(٢) معاني القرآن ١/١٧٨.

(٣) شرح ابن عقيل ٢/١٨٩.

وقد ذكر الأخفش بعض هذه الظروف المتصرفة، وهو يفسّر قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ [آل عمران: ٤٥] ذاكراً سبب تصرفها ومعناها، فقال: ((وقوله: «إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشرك» و: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ [آل عمران: ٣٠] وأشباه هذا في (إذ) وفي الحين وفي (يوم) كثير، وإنّما حسن ذلك المعنى لأنّ القرآن إنّما أنزل على الأمر والذكر، كأنّه قال لهم: اذكروا كذا وكذا، وهذا في القرآن في غير موضع، واتّقوا يومَ كذا، أو: حينَ كذا))[1].

❑ تذكير صفة المؤنث:

ذكر الأخفش ثلاثة معان لتذكير (قريب) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦] فقال: ((فَذَكَّرَ (قريب) وهي صفة الرحمة، وذلك كقول العرب: ريحٌ خَريف، ومِلْحَفَة جديد، وشاةٌ سَديسٌ. وإن شئت، قلت: تفسير الرحمة ها هنا (المطر) ونحوه، فلذلك ذكّر كما قال: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ ﴾ [الأعراف: ٨٧] فَذَكّرَ لأنه أراد الناس، وإن شئت جعلته كبعض ما يذكّرون من المؤنث، كقول الشاعر:

..... وَلا أرْضَ أبْقَــلَ إبْقالَهَــا))[2]

❑ جَمْعُ غير العاقل جَمْعُ العاقل:

وضَّحَ سبب جمع (ساجدين) جَمْعَ مذكّر سالماً، وهو يعود على غير

---

(١) معاني القرآن ١/٢٠٤.

(٢) معاني القرآن ٢/٣٠٠.

العاقل: (الكواكب، والشمس، والقمر)، فقال: ((وأمّا قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] فإنّه لمّا جعلهم كمن يعقل في السّجود والطواعية، جعلهم كالإنس في تذكيرهم إذ جمعهم، كما قال: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] وقال الشاعر:

صَدَّها مَنْطِقُ الدَّجاجِ عنِ الْقَصـ ـد وَضَرْبُ النّاقوسِ فاجْتُنِبا

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] إذ تكلّمت نملة فصارت كمن يعقل، وقال: ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] لَمّا جعلهم يطيعون شبّههم بالإنس))[1].

❑ التاء في (مثابة) أُلْحِقت للكثرة والمبالغة:

قال الأخفش في معنى التاء في (مثابة)، وهو يفسّر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٥] ((وأُلْحِقت الهاء في المثابة لمّا كَثُر من يثوب إليه، كما تقول: نَسّابة، وَسَيّارة لِمَن يكثر ذلك منه))[2].

❑ استعمال صيغة (مرضعة) بدلا من (مرضع):

يبين الأخفش سبب إيثار صيغة (مرضعة) على صيغة (مرضع) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢] موضحاً المعنى، بأنَّ صيغة (مرضعة) تُقال لِمَن هي متلبسةٌ بالإرضاع. أمّا (مرضع) فهي صفة لِمَن شأنها الإرضاع، ولكنّها غير متلبسة بالفعل، فقال: ((«تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت» وذلك أنّه أراد -والله أعلم- الفعلَ،

---

(١) معاني القرآن ٢/٣٦١-٣٦٢.

(٢) معاني القرآن ١/١٤٦.

ولو أراد الصِّفة فيما نرى، لقال: (مرضع)))[1].

□ معنى (سلام) في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ [الزخرف: ٨٩].

يبين الأخفش أنّ قوله: (سلام) يحتمل معنيين، التحية، والبراءة، قال: ((وقال: «فاصفح عنهم وقل سلام» فهذا يجوز على معنى: سلامٌ عليكم، في التسليم، أو يكون على البراءة، إلا أنّه جعله خبر المبتدأ، كأنّه قال: أمري سلامٌ، أي: أمري براءةٌ منكم، وأضمر الاسم كما يُضمر الخبر))[2].

□ معنى (غيرها) في قوله تعالى: ﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: ٥٦].

يبين الأخفش في تفسيره لهذه الآية الكريمة أنّ (غيرها) لا تعني جلوداً أُخرى، وإنّما هي الجلود نفسها، ولكن الذي يُغَيَّر هو نَضْجُها، فقال: ((فإن قال قائل: أليس إنّما تُعَذَّبُ الجلود التي عَصَت، فكيف يقول غيرها؟ قلت: إنّ العربَ قد تقول: (أصوغ خاتماً غَيْرَ ذا) فَيَكْسِره ثمّ يصوغه صياغة أخرى، فَهو الأول، إلاّ أنّ الصياغة تَغَيَّرت))[3].

وقال في موضع آخر: ((يعني غَيْرَها في النضج، لأنّ الله عزّ وجل يُجَدِّدُها فيكون أشدَّ العذاب عليهم، وهي تلك الجلود بعينها التي عَصَت الله تعالى، ولكن أذهب عنها النضج، كما يقول الرجل للرجل: أنت اليوم غيرُك أمسِ، وهو ذلك بعينه، إلا أنّه نقَصَ منه شيءٌ أو زاد فيه))[4].

---

(١) معاني القرآن ٢/٤١٣.

(٢) معاني القرآن ١/١٦٨.

(٣) معاني القرآن ١/٢٤١.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٠٣-٣٠٤.

□ معنى (ضُرِبَ مَثَلٌ) في قوله تعالى: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا﴾ [الحج: ٧٣].

يرى الأخفش أنّ قوله: (ضُرِبَ مَثَلٌ) لا يراد به ضَرْبُ المثل، وإنّما اتَّخذَ الكفّار آلهةً جعلوها في اعتقادهم مِثْلَ الباري عزّ وجل. وهذا المثل الذي اتخذوهم من دون الله آلهة لايستطيعون ان يخلقوا ذباباً وهي أقلُّ خَلْقِ الله واصغره وأحقره، ولو اجتمعوا لِخلقه وتعانوا عليه.

قال الأخفش: ((فَإن قيل: فَأين المثل؟ قلت: ليس ههنا مَثَلٌ، لأنّه تبارك وتعالى إنّما قال: ضُرِب لي مثلٌ، فجُعِل مثلاً عندهم لي فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مِثْلِي في قولهم: واتّخاذهم الآلهة وأنّهم لن يَقْدروا على خَلْق ذباب ولو اجتمعوا له وهم أضعف لو سلبهم الذباب شيئاً فاجتمعوا جميعاً لِيَسْتَنْقذوه منه، ولم يقدروا على ذلك، فكيف تُضْرَبُ هذه الآلهة مَثَلا لربِّها وهو رَبُّ كلّ شيء، الواحد الذي ليس كمثله شيء، وهو مع كل شيء، وأقرب من كل شيء، وليس له شبه ولا مثلٌ ولاكفؤ، وهو العلي العظيم الواحد الرّب الذي لم يزل ولايزال))[1].

□ الإخبار بقوله تعالى: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١] عن جَهْل الملائكة بعلم الغيب، وهو عالمٌ بذلك:

فَسّر الأخفش قوله تعالى: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: بأنّ ذلك لم يكن عن علم الملائكة بالغيب، وإنما هو إخبارٌ عن جهلهم به، وعلمه وحده سبحانه وتعالى بالغيب، فقال: ((فلم يكن ذلك لأنّ الملائكة

---

(١) معاني القرآن ٤١٦/٢.

ادَّعَوا شيئاً، إنّما أخبر عن جهلهم بعلم الغيب وعلمه بذلك وفعله، فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، كما يقول الرّجل للرجل: أنْبِئْني بهذا إن كنتَ تعلم، وهو يعلم أنّه لايعلم، يريد: أنّه جاهل، فأعظموه عند ذلك، فقالوا: «سبحانك لا علم لنا بالغيب» على ذلك، ونحن نعلم أنّه لا علم لنا بالغيب إخباراً عن أنفسهم بنحو ما خبر الله عنهم))[1].

□ زيادة حرف الجرِّ (مِن):

يرى الأخفش رأيَ الكوفيين بجواز زيادة (من) وإن لم تُسبق بنفي أو استفهام[2]، وجوز أن يكون مجرورها معرفة، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[3] [الأنعام: ٣٤]: ((وقال: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤] كما تقول: قد أصابنا من مطرٍ، وقد كان من حديثٍ))[4].

□ الكاف للخطاب، ولا محل لها من الإعراب:

تأتي الكاف بعد (أرَأَيْتَ) فتكون حرف خطاب لامحلَّ لها من الإعراب، وتكون بمعنى أخْبِرني نحو: أرَأَيْتَكَ هذا الذي عمله خالدٌ. أي: أخبرني[5].

قال الأخفش في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠]: ((فهذا الذي بعد التاء من

---

(١) معاني القرآن ١/٥٧.

(٢) الجنى الداني ص٣٢١.

(٣) الأنعام: ٣٤.

(٤) معاني القرآن ٢/٢٧٤.

(٥) ينظر: مغني اللبيب ١/١٨١.

قوله: (أرأيتكم) إنّما جاء للمخاطبة وترك التاء مفتوحة كما كانت للواحد، وهي مثل كاف (رُوَيدك زيداً) إذا قلت: أَرُود زيداً، فهذا الكاف ليس لها موضع تُسمّى بجرٍّ ولا رفع ولا نصب، وإنّما هي من المخاطبة مثل كاف (ذاك) ومثل ذلك في قول العرب: أَبْصِرْكَ زيداً، يدخلون الكاف للمخاطبة، وإنّما هي: أَبْصِرْ زيداً))[1].

❑ حذف المفعول وإضماره للعلم به:

قد يحذف المفعول به إذا دلَّ عليه دليل، وقد يكون حذفه أحسنَ من ذكره وأبلغ.

قال الأخفش في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ﴾ [آل عمران: ١٨٠]: ((فأراد ولا تَحْسَبَنَّ البخلَ هو خيراً لهم، فألقى الاسم الذي أوقع عليه الحسبان، لأنه قد ذكر الحسبان، وذكر ما آتاهم الله من فضله فأضمرها، وقد جاء من الحذف ما هو أشدُّ من ذا، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ ۚ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]، لأنّه لمّا قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الحديد: ١٠] كان فيه دليل على أنّه قد عناهم))[2].

❑ حذف جواب (لَمَّا) و (لَو):

قد يحذف جواب (لمّا) وغيره ممّا يحتاج إلى جواب، كـ (لو) وغيره إذا طال الكلام، واستغني عن الجواب بالمعنى.

---

(١) معاني القرآن ٢/٢٧٤-٢٧٥.

(٢) معاني القرآن ١/٢٢١-٢٢٢.

قال الأخفش في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

((فإن قيل: فأين جواب: «ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدق لِما معهم»؟

قلت: جوابه في القرآن كثير، استغنى عنه في هذا الموضع إذا عُرِف معناه. كذلك جميع الكلام إذا طال يجيء فيه أشياء ليست لها أجوبة في ذلك الموضع ويكون المعنى مستغنى به، نحو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١] فيذكرون تفسير: لو سُيِّرت الجبال بقرآن غير هذا القرآن لكان هذا القرآن سَتُسَيَّر به الجبال، فاستغنى عن اللفظ بالجواب إذ عُرِفَ المعنى))[1].

□ حذف (لام) القسم للتوسع في المعنى:

تحذف لام القسم لاحتمال أن يكون هناك أكثر من جواب للقسم. وهذا من باب التوسع في المعنى، فلو ذُكرت اللام لَحُدِّد الجواب.

قال الأخفش وهو يفسّر بداية سورة النازعات: ((قال: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ [النازعات: ١] فأقسمَ -والله أعلم- على: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٦] وإن شِئْتَ جعلته على يوم ترجف الراجفة... قلوب يومئذ واجفة[2]، والنازعاتِ.

---

(١) معاني القرآن ١/١٣٦-١٣٧، وذكر الأخفش على ذلك أمثلة أخرى.

(٢) النازعات، آية ٦-٨ وبينهما: (تَتْبَعُها الرادفة).

وإن شئت جعلته على: والنازعاتِ لَيَوْمَ ترجف الراجفة تتبعها الرادفة، فَحُذِفت اللام، وهو كما قال جلَّ ذكره وشاء أن يكون في هذا وفي كلِّ الأمور))[1].

❑ معنى: (يُخَادِعون الله):

يقول الأخفش في بيان معنى (يُخَادِعون) في تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٩] ((ولا تكون الْمُفاعَلَةُ إلا من شيئين، فإنّه إنّما يقول: يُخادعون الله عند أنفسهم يُمَنُّونها أن لايُعَاقبوا، وقد علموا خلاف ذلك في أنفسهم، ذلك لِحجَّة الله الواقعة على خلقه بمعرفته... وقد تكون (المفاعلة) من واحد في أشياء كثيرة، تقول: باعَدْتُه مباعدةً، وجاوزته مجاوزةً في أشياء كثيرة. وقد قال: وهو خادعهم، فَذا على الجواب، يقول الرّجل لِمَن كان يخدعه إذا ظَفَر به: أنا الذي خَدَعْتُك، ولم يكن له منه خَديعةٌ، لكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه، وكذلك: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤].

و: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] على الجواب، والله لا يكون منه المُكْرُ والهَزْءُ، والمعنى: أنّ المكر حاق بهم والهَزْءَ صار بهم))[2].

❑ الاستفهام لِلعِلمِ والإقرار:

قد يخرج الاستفهام لأمور كثيرة غير طلب العِلْمِ، ومن هذه الأمور العلم والإقرار.

---

(١) معاني القرآن ٢/٥٢٦.

(٢) معاني القرآن ١/٣٨-٣٩.

قال الأخفش في بيان معنى الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]: ((فلم يكن ذلك إنكارا منهم على ربِّهم، إنّما سألوا ليَعْلموا، وأخبروا عن أنفسهم أنّهم يُسَبِّحون ويُقَدِّسون، أو قالو ذلك لأنّهم كرهوا أن يُعْصى الله، لأنّ الجنَّ قد كانت أُمرَت قبل ذلك فَعَصَت... وقوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ جاء على وجه الإقرار))[1].

□ التوكيد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ [سبأ: ٢٤]

يبين الأخفش أنّ التوكيد في هذه الآية الكريمة لا يُراد منه رَفْع الشك وتحقّق الهدى إلى أحد الفريقين، وإنّما لبيان أنّه هو المهتدي وهم على الضلال.

قال: ((وقال: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ فليس هذا لأنه شكٌّ، ولكن هذا في كلام العرب على أنّه هو المهتدي. وقد يقول الرّجل لعبده: أحَدُنا ضارِبٌ صاحِبَه، فلا يكون فيه إشكالٌ على السّامع أنّ المولى هو الضارب))[2].

□ إعادة الضمير على (السماوات والأرض) بصيغة المثنى:

يوضح الأخفش سبب إعادة الضمير على السماوات والأرض بصيغة المثنى، والسماوات جَمْعٌ، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ [فاطر: ٤١] فيقول: ((فثَنَّى، وقد قال: (السماوات والأرض) فهذه جماعة. وأرى -والله أعلم- أنّه جعل السماوات صِنْفاً كالواحد))[3].

---

(١) معاني القرآن ١/٥٦.

(٢) معاني القرآن ٢/٤٤٥.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٤٤٨.

❑ إضافة (رسول) إلى ضمير الجمع:

يبين الأخفش سبب إضافة (رسول) إلى ضمير الجماعة، فقال: (برسولهم) ولم يُضَف إلى الضمير الذي يعود على (أمّة) فيقول: (برسولها) في قوله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ﴾ [غافر: ٥] فقال: ((فَجُمِع على الكل، لأنّ (الكل) مذكّر معناه معنى الجماعة))[1].

❑ (الباء) بمعنى (عن)، و (من) بمعنى (الباء):

قال الأخفش في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢] ((يريد عن أيمانهم -والله أعلم- كما قال: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، يقول: بطرفٍ خفي))[2].

(١) معاني القرآن ٢/٤٦٠.

(٢) معاني القرآن ٢/٤٩٤.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ثبت المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن- جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- أخبار النحويين البصريين- أبو سعيد السيرافي (ت: ٣٨٦ه) تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، ط١، مطبعة دار الاعتصام ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة لغوية وبيانية- د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ط٣، دار المعارف- مصر.
- الاعجاز في دراسة السابقين- عبد الكريم الخطيب، ط١، ١٩٧٤م دار الفكر العربي- مصر.
- إعراب القرآن- لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد طبعة في مجلد واحد عالم الكتب- بيروت ط٢، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- أنباه الرواة على أنباء النحاة- جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٢٤)، ط١، المكتبة العصرية- بيروت ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
- البحر المحيط- أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ه)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين. ط٢، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- بدائع الفوائد- ابن القيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ). الطباعة المنيرية- مصر (د.ت)
- البرهان في علوم القرآن- بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١- دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الكتب العلمية- بيروت ٢٠٠٤م.
- تاريخ بغداد- الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ) ط١، مطبعة السعادة- القاهرة، ١٣٤٩هـ-١٩٣١م.
- التبيان في إعراب القرآن- أبو البقاء العكبري (ت: ٥٦١٦)، وضع حواشيه: محمد حسين شمس الدين- دار الكتب العلمية- بيروت ط٢، سنة ٢٠١٠م.
- التفسير والمفسرون- محمد حسين الذهبي- دار الكتب الحديثة- القاهرة ١٣٨١هـ-١٩٦١م.
- الجنى الداني في حروف المعاني- حسن ابن أمّ قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: طه محسن، مؤسسة الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.
- الخصائص- أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٩٩هـ.
- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون- شهاب الدين السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: علي محمد عوض وآخرين ط١، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٤م.
- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية- أبو حاتم الرازي (ت: ٣٢٢هـ)، ط٢، تحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني- مطبعة دار الكتاب العربي- القاهرة ١٩٥٧هـ- ١٩٥٨م.

- سنن الترمذي (الجامع الكبير) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي- بيروت ١٩٩٨م.
- سيبويه إمام النحاة- علي النجدي ناصف، القاهرة ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك- بهاء الدين بن عقيل (ت: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد ط١٦، دار الفكر- بيروت ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- شرح المفصل- موفق بن يعيش النحوي (ت: ٦٤٣هـ) مطبعة المنيرية- مصر (د.ت).
- الصحاح- إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، ط٣، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار اعلم للملايين ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح)- محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهر بن ناصر الناصر ط١، دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر)- مسلم بن الحجاج (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت (د.ت).
- طبقات النحويين واللغويين- أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت:٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف- مصر ١٩٧٣م.
- على طريق التفسير البياني- د. فاضل صالح السامرائي ط١، دار الفكر- عمان ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- الفهرست- لابن النديم (ت: ٤٣٨هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة- لبنان ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان- ابن القيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، ط٢، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- القاموس المحيط- للفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، رتبه ووثقه: خليل مأمون شيحا، ط٢، دار المعرفة- بيروت ١٣٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- الكتاب- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر بن سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، دار الجيل- للطباعة مصر ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- الكليات- لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤)، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري ط٢، مؤسسة الرسالة ناشرون ١٤١٩هـ-١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين ط٤، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- لسان العرب- جمال الدين بن منظور (ت: ٧١١هـ) ط١، دار صادر- بيروت ١٩٧٧م.
- مباحث في التفسير الموضوعي- أ.د. مصطفى مسلم ط٥، دار القلم- دمشق ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- مجاز القرآن- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيميّ (ت: ٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين ط١، مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤١٢هـ-١٩٨١م.
- محاضرات في التفسير الموضوعي- د. عباس عوض الله عباس.

- المدارس النحوية- د. شوقي ضيف- دار المعارف- مصر.
- المدخل إلى التفسير الموضوعي- د. عبد الستار سعيد- دار الطباعة والنشر الإسلامية.
- مراتب النحويين- أبو الطيب اللغوي (ت:٣٥١ه)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم- القاهرة ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
- الزهر في علوم اللغة وأنواعها- جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد جاد المولى وصاحباه، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة (د.ت).
- معاني القرآن- أبو الحسن سعيد بن سعدة الأخفش (ت:٢١٥هـ)، ط٣، تحقيق: فائز فارس- دار البشير- دار الأمل ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- معاني القرآن- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت:٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد ويوسف نجاتي ط٣، مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة ١٤٢٢هـ-٢٠١١م.
- معاني النحو- د. فاضل صالح السامرائي مطبعة التعليم العالي- الموصل، ١٩٨٩-١٩٩١م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب- ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد- مطبعة المدني- القاهرة (د.ت).
- المفردات في غريب القرآن- للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: هيثم طعيمي، ط١، دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- مقاييس اللغة- أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الكتب العلمية- قُم (د.ت).

- المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث- د. عقيد خالد العزاوي، ط١، دار العصماء- دمشق ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- الموافقات في أصول الشريعة- لأبي إسحق الشاطبي (ت:٧٩٠هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان ط٥، دار المعرفة والنشر- بيروت ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء- أبو البركات الأنباري (ت:٥٧٧هـ)، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي بغداد ١٩٥٩م.
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان- ابن خلكان (ت:٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر- بيروت ١٩٧٠م.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المحتويات

المقدمة ٣
التفسير البياني تعريفه لغة واصطلاحاً ٥
صلة التفسير البياني بالتفسير العام والتحليلي والموضوعي ١٠
النشأة والتطور ١٦
أهداف التفسير البياني ٢٢
نماذج من التفسير البياني عند قدماء النحويين واللغويين ٢٤
سيبويه ٢٥
نماذج من التفسير البياني في كتاب سيبويه ٣٠
الفرّاء ٣٧
نماذج من التفسير البياني في معاني القرآن للفرّاء ٣٩
أبو عبيدة ٥١
نماذج من التفسير البياني عند أبي عبيدة ٥٢
الأخفش الأوسط ٦٤
نماذج من التفسير البياني عند الأخفش في معاني القرآن ٦٥
ثبت المصادر والمراجع ٧٩
الفهرس ٨٥

قل كل يعمل على شاكلته

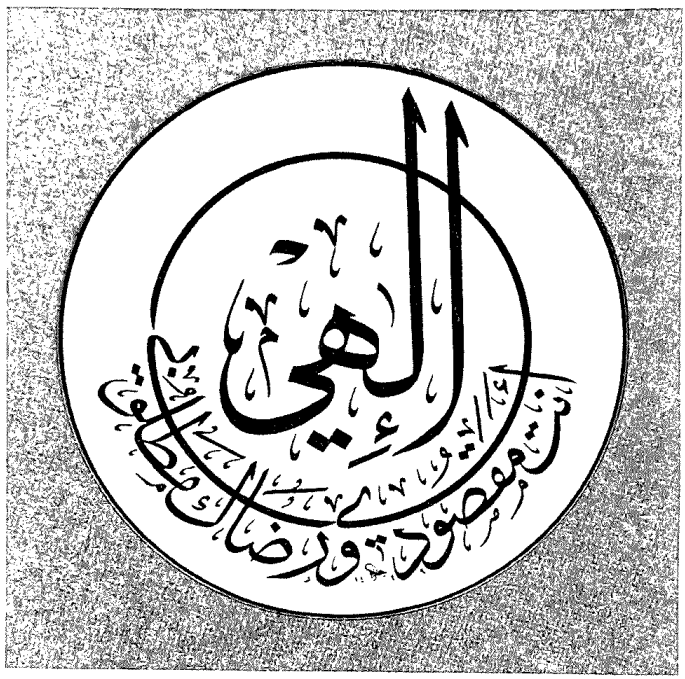
الهي
انت مقصودي ورضاك مطلوبي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هذا الكتاب

فيه عرض قيم لنماذج من التفسير البياني عند قدماء النحاة واللغويين سيبويه، والفراء ، وأبي عبيده ، والاخفش الاوسط .

اختارها الباحث من أقوالهم وآرائهم في تفسير قسم من آي الذكر الحكيم للتدليل على قدم هذا النوع من التفسير وان لم يصل الينا في كتاب أو تفسير مستقل يحمل اسم هذا اللون التفسيري .

وفي الكتاب بيان لمفهوم التفسير البياني ، وأهدافه وأهميته .والكتاب يعد دراسة تاريخيه نقديه لظهور هذا النوع من التفسير وبيان علاقته بالأنواع التفسيرية الاخرى .

ISBN 9933330361